

هؤوم مئقئا هؤمئا

حصنوهلأ وههؤمئا

عبق الخزامى
والريحان
في أدب السريان

صمم و. جمع صمم لاهما لهؤمئا بقلم الدكتور بشير متى توما الطوري
عضو دائرة اللغة السريانية المجمع العلمي

المقدمة:

أحبائي القراء السريان الأكارم

ها أنذا أضع بين أيديكم الكريمة كتابي الثاني في الأدب السرياني والذي وسمته باسم «مَعْقَطًا هَوَسْنَا حَصْبُهُ، هَالًا بِهِ هَوَسْنَا عِبَق الخزامى والريحان في أدب السريان، وهو مجموعة بحوث أخرى نشرتها أيضا بعد تلك المنشورة قبلا في مجلات مختلفة وجريا على عادتي درست فيها جوانب مختلفة من فنون الشعر والأدب السرياني خصوصا مار أفرام السرياني نبي السريان وشمسه وأمير شعرائهم الذي لا يجارى. وكذلك عبيدشوع الصوباوي وخامس القرداحي من القرن الثالث عشر ومبتدأ القرن الرابع عشر وهما يمثلان قطبين كبيرين في التراث الشعري للسريان المشاركة إضافة إلى موضوع العلم في القصيدة السريانية ومقارنة بين المعجم السرياني والمندائي عسى أن أكون قد خدمت بعلمي هذا تراثنا السرياني الثروالغني بنفائس الدرر واللآلئ وأدعو جيل الشباب بوجه خاص ليدرسوا هذه الفن ليتعلموا منها كيفية بناء القصيدة الشعرية واختيار الصور الزاهية والله أسأل أن تنال رضا الأدباء وله الشكر الدائم على نعمه وآلائه.

حَدُّوا

سَخَّجَتْ قَوْمًا مَعَهُمْ وَمَا مَدَّوْا

سَخَّجَتْ قَوْمًا مَعَهُمْ وَمَا مَدَّوْا
سَخَّجَتْ قَوْمًا مَعَهُمْ وَمَا مَدَّوْا
سَخَّجَتْ قَوْمًا مَعَهُمْ وَمَا مَدَّوْا
سَخَّجَتْ قَوْمًا مَعَهُمْ وَمَا مَدَّوْا
سَخَّجَتْ قَوْمًا مَعَهُمْ وَمَا مَدَّوْا
سَخَّجَتْ قَوْمًا مَعَهُمْ وَمَا مَدَّوْا
سَخَّجَتْ قَوْمًا مَعَهُمْ وَمَا مَدَّوْا
سَخَّجَتْ قَوْمًا مَعَهُمْ وَمَا مَدَّوْا
سَخَّجَتْ قَوْمًا مَعَهُمْ وَمَا مَدَّوْا
سَخَّجَتْ قَوْمًا مَعَهُمْ وَمَا مَدَّوْا

حَدُّوا

مكانة العلم في القصيدة السريانية

امتاز السريان بمحبتهم للعلم والعلماء وقد أسسوا المدارس الكثيرة في البلاد التي استوطنوها بل كان ملحقا بكل دير مدرسة، فقد بلغت المدارس في العصر الذهبي للسريان ما يقرب من خمسين مدرسة، وصلت مكانة البعض منها مكانة الجامعة اليوم كنصيبين والرها، فلا غرو إذا ما وجدنا أساتذة وطلاب تلك المدارس يهتمون بالتعليم ويجدون في طلبه وينشدون في ذلك القصائد العصماء.

وعلى رأس هؤلاء مار أفرام السرياني أستاذ جامعتي نصيبين والرها لمدة تقرب من أربعين عاما.

فقد جاءت قصيدته في العلم لتكون شعلا تهتدي به الأجيال من بعده في اعتبار العلم والعلماء بل هي درس خالد للبشرية تأخذ منه العبر على مر الدهور والعصور ودونكم بعضا من أبياتها مع ترجمة وتعليق عليها.

لله هَجُّ مَجْهُبًا : لَأَسْأَلُ وَنُسَمُّ مَجْهُبًا

هَجُّ حَا وَمَجْهُبٌ مَعْنَى : حَبِيبٌ وَحَا حَصَلَتْهُ أَوْ

أَسْأَلُ وَنُسَمُّ مَجْهُبًا : نَهْأُ مَعْنَى حَبْلِكُمْ

هَأَسْأَلُ وَنُسَمُّ حَبْلِكُمْ : لَأُحْيِيَ أَوْ نَهْأُ مَعْنَى

1. اللهم هب العلم لمن يحب العلم.

والمعلم الذي يجيد التعليم اجعله عظيما في ملكوتك.

إن من يحب العلم يكون دائم النشاط
ومن يحب الكسل لا يمكن أن يكون نشيطاً.

في المقدمة يطلب الشاعر من الله أن يضع العالم والأستاذ والمربي في مكانة مرموقة ليس في هذه الأرض الفانية حسب، بل في الحياة الثانية في دار الخلود والنعيم مع القديسين والأبرار وبذا رفع مرتبة المعلمين والأساتذة إلى مرتبة القداسة بل وضعهم في أعلى مرتبة يستطيع أن يبلغها الإنسان.
نعم إن محب العلم دائم النشاط فهو كالنحلة التي تطير من زهرة إلى أخرى لتمتص رحيقها وخصوصاً في الصباح لتصنع منه عسلاً طيباً غذاءً ودواءً للإنسان وكذلك العالم الجليل يقضي سواد ليله وبياض نهاره بين أوراق الكتاب ولا يعرف الكسل حبا بالإنسانية ليعطيها عصارة فكره ويضعها على الطريق الصحيح كل حسب اختصاصه.

حَبُّهُ مِمَّنْ سَقَّيْتَهُمْ: كَأَنَّ وَحَا وَمَعْلَمًا
هُوَ وَسَفَّ مَحَّ مَكَّائِهِمْ: هُوَ وَوَا وَمَلَأَ سَهْمَهُنَّ
حَبُّهُ جَا مِمَّنْ سَجَّيْتَهُمْ: وَصَدَّهٖ لَأَصْبَحَ كَهَمُّعًا
هَمُّهُ وَسَعَّدَهُ كَبُّعًا أَوْ مَلَأَ: وَأَلَّا لَأَسْعَى كَلَّا مَا وَمَسَّ

2. أيها الإنسان اقتن الاجتهاد لأنه كنز العلم العظيم.
وابتعد عن الكسل فإنه مخزن مليء بالخسران.
وطالع الكتب بجد كيما تحصل على اللذة منها

وابتعد عن الشراهة لئلا تخسر كل ما حصلت عليه.

نعم إن كنز العلم معين لا ينضب ومن يأخذه صديقا له لا يعرف الخسران ولذة الكتاب لذة ما بعدها لذة، فهي ترفع الإنسان إلى العالم الآخر حيث الصفاء والنقاء والراحة النفسية والفكرية ومن يهذ بقراءة الكتب دوما يصبح إنسانا آخر يسمو فوق المادة ومشاكلها ولا يعاني خدين العلم من الأمراض حيث ان الكسل يعلم الخباثة كقول الكتاب "لأن البطالة تعلم خباثة كثيرة" كما أن المعدة بيت الداء ومن يبتلي بمرض الشراهة سيكون عرضة للافات والأمراض العديدة ولا يهنأ في عيشه.

وَهَجَا هَهَامَا لِي لَمِنَا: لَا لَأُوْمَ هَلَّا لَعَدَجَهْ;

لَا حَجَلَهْ هَهْ وَسَسْ: مَصَّجَا هَهْ هَهْ

وَهَجَا مَنَّا حُو حَصَعَهْ سَلَا: مَهَجُجَا هَلَّا حَصَعَهْ سَلَا

وَهَجَا مَصَّجَا هَهْ حُرُّنَا: هَهْ نَا سَلَا هَجَهْ صَعَا

3. ولا تتكبر وتفخر إذا ما امتلكت ذهباً وفضة.

بل اسلك في طرقك باتضاع

اقتن الذهب بحدود أما العلم فبلا حدود.

لأن الذهب يكثر المصاعب وأما العلم فيعطيك الراحة والهدوء.

إن الكبرياء في أصل البلاء على الإنسان وهي التي أنزلته من سماء

المجد إلى أرض الشقاء واللعنة بل جعلته يكد ويتعب طول حياته ويأكل خبزه

بعرق جبهته والاحترام الحقيقي للإنسان يكمن في التواضع "لأن من وضع نفسه ارتفع".

إن المال والذهب وجدا لخدمة الإنسان ولكن إذا ما أصبحا غاية في حد ذاتهما انقلبا إلى الضد وصار الإنسان عبد لهما وخادما مطيعا بل أسيرا لمحبتهما التي تفقده حتى الكرامة "لأن محبة المال أصل لكل الشرور".
لذا يحذر شاعرنا من التماذي في حب الذهب ولكنه يوصي بمحبة العلم غير المحدودة التي تكون سببا في راحة واحترام صاحبها. ثم يستمر في إيداء نصائحه وإرشاداته التي منحتة إياها خبرته الطويلة في التعليم إلى أن يقول:

أَجْبَا حَجَلًا رَجَه نَهْهَا حَصْبُ: مَهْمَهْمَا كَلَاهُ قِي
حَمَا جَلًا مَهْمَهْمَا أَجْبُ: مَهْمَهْمَا مَهْمَا

4. ليكن لكل أمر وقتا واسلك بترتيب.

للأكل وللشرب وقتا وكذلك للعلم والدرس.

هنا تبدو أهمية التنظيم في حياة طالب العلم بل حياة الإنسان، لأن التنظيم أساس النجاح في الحياة واحترام الزمن من المقومات الأساسية في تقدم ليس الأفراد فقط بل الشعوب والدول أيضا وشاعرنا قبل أكثر من ستة عشر قرنا يؤكد على هذه النقطة الهامة بالذات ولا عجب في ذلك فهو لولا تنظيم وقته لما بلغ ما بلغ إليه من منزلة.

هُجًا بِهِ سَجْعًا مَعَ رَأَا: هَعَجُّبًا مَعَ مَعْمَهُا
هُهَجُّبًا مَعَ مَعْمَهُا هُهَجُّبًا مَعَ مَعْمَهُا

إن الحكمة تأتي نتيجة الخبرة في الحياة وكذلك العلم. أما المال فيمكن الحصول عليه بطرق كثيرة حتى لئن كانت غير مشروعة. لذا فإن الحكمة والعلم أثنى بكثير من المال والذي هو مجلبة للتعب إذا ما زاد عن حده انقلب إلى ضده.

والحكمة مهمة في حياة الإنسان إذ تجعله يهناً في حياته مع الآخرين ومع نفسه لذا ففان الفتى الحكيم أفضل بكثير من الملك الشيخ الجاهل، لأن الجهل مرض الأمراض وآفة الآفات الاجتماعية بل هو السوس الذي ينخر في المجتمع، فكيف إذا كان الملك مصاباً يمثل هذا الداء العضال. أما مار إسحاق الأنطاكي من القرن الخامس فهو الآخر نظم قصيدة رائعة في العلم ومحبتة ذات معان سامية وتشبيهات جذابة تأخذ بمجامع القلوب نقتطف بعضاً منها:

هَعَجُّبًا مَعْمَهُا بِهِ سَجْعًا: وَجَدَ مَعْمَهُا سَجْعًا وَجَدَ مَعْمَهُا
هُهَجُّبًا مَعْمَهُا مَعْمَهُا: هُهَجُّبًا مَعْمَهُا مَعْمَهُا
هُهَجُّبًا مَعْمَهُا مَعْمَهُا: هُهَجُّبًا مَعْمَهُا مَعْمَهُا
هُهَجُّبًا مَعْمَهُا مَعْمَهُا: هُهَجُّبًا مَعْمَهُا مَعْمَهُا

5. العلم ملح للنفس ينتشدد ضعفها

ومذاق سليم يطيب الفكر الذي يلهج به كل يوم
هو الشمس النافذة من خلال الأذن إلى الفكر لتنتيره
بل تذيب الجهل كما يذيب الوهج الجليد.

صور شعرية جميلة وتشبيها حلة يصف بها العلم فإن الملح معروف
باستعماله لحفظ الأطعمة والأشياء من الفساد والعفونة وذلك يمنع الجراثيم من
التكاثر والنمو وبالتالي القضاء عليها، ولا أخطر من جرثومة الجهل على
الإنسان فالويل لمن يصاب بهذه الجرثومة لأنها تحصله عرضة للمآسي مدى
الحياة بل هي بلاء ليس على الفرد وحده لكن على المجتمع بأسره.
ومعروف أيضا أن الطعام بدون ملح لا يمكن أن يؤكل ولا طعم له
فهو الذي يعطيه الطعم المقبول سواء كان نبيئا كالخضار أو مطبوخا كاللحوم
بل يحفظه ولئن ترك لفترة دون فساد كانت تحفظ في قوارير من الفخار مملحة
طيلة الشتاء قبل اكتشاف الثلجات والمجمدات.

كذلك العلم يحفظ النفس الإنسانية من الوقوع في الخطأ والزيغان
ويجعلها منسجمة مع مجتمعا التي هي جزء منه.

الشمس تذيب الجليد وتمنح الدفاء للإنسان لكي يعمل وشمس العلم
تذيب جليد الجهل المتكثف في العقل وتنتيره فيشع بأنواره الكاشفة على البشرية
ويخدمها في حقول المعرفة كافة.

إلى أن يقول:

نَجُّعًا ، وَنَجُّعًا مَعْجَبًا ، وَنَجُّعًا مَعْجَبًا ، وَنَجُّعًا مَعْجَبًا ،
هَجُّعًا ، وَهَجُّعًا ، وَهَجُّعًا ، وَهَجُّعًا ، وَهَجُّعًا ، وَهَجُّعًا ،

1. العلم هو نفس للنفس ومنه تستمد الحياة

والنفس التي لم تملح به هي جثة هامة مرذولة.

تشبيه آخر رائع وجميل فإن الحياة هي في ارتباط النفس بالجسد ومتى انفصلت عن الجسد أصبح الجسد بلا حراك بل إن هي إلا سويغات وبيدأ بالفساد والتعفن وتفوح منه رائحة كريهة ويجب التخلص منه بوضعه في القبر ليعود إلى التراب الذي أخذ منه.

كذلك الشخص الجاهل وغير المتعلم يكون مصدر أذى للمحيطين به بتصرفاته غيرالمتزنة وغير الموجهة بل قد يأتي بأعمال تؤدي بالمجتمع إلى الهلاك. ثم يردف قائلا:

أَكَلْنَا مِنْهُ وَجَلَّا نَمُّهُ مَدْمَجًا: هَجَلًا نَمُّهُ مُقْبِحٌ حَلْكَاهُ
لَا مَدْمَجًا لَوْ مَحَّ قَاؤًا: صَعًا وَبَجًا يُبْعُ نَعَصًا حَهُ

2. هو شجرة تقطف ثمارها كل يوم.

وكل يوم تعود تنثر غلاتها

لا تتفد ثمارها البتة

بل كلما طلبها المرء يجدها.

ما أحلى الشجرة المورقة التي تعطي ثمرها في أوانه وورقها لا يذبل

كذلك الإنسان الذي يتربى على حب العلم يكون دائم العطاء "ومغبوط هو

العطاء أكثر من الأخذ" إنه يعطي دون حساب ولا يسأل من يعطيه أجراً
كالشجرة التي تعطي الثمر ولا تطلب أجراً.

كَمَّ لَهُ صَدْرُهُ كَمَلُجًا: وَيَسَّاهُ مَعَ أَحْتًا
هُفَلًا كَجِبًا مَدَّهَ كَه: مَعَ وَخَصَّاهُ خَلَّتَا

3. ليس للعلم شتاء، ليعريه من ثماره.

ولا الجليد يعيقه عن دفق غلاته.

إن الشتاء يجعل الأشجار في سبات ولا تعطي ثمارها، أما العلم فعلى
العكس منها لا شتاء يمنعه من العطاء ولا صيف لا هب يصدّه عن استمرار
هذا العطاء، فهو كالنهر الدافق سريع وصاف ورائف ورائق، الجليد يؤثر في
الشجرة ولكن هل يستطيع أن يقف في طريق المعرفة والعلم، كلا فإن العلم
مستمر في عطائه رغم كل الظروف والمعوقات التي توضع في طريقه من قبل
أعداء الإنسان وله في مجلة العلم أبيات معبرة وجميلة جدا ولا غرو فهو شاعر
موهوب ومرهف الحس نختار منها بعض الأبيات:

مَدَّهَ وَوَسَّرَ مَكَلُجًا: هَلَّا هُوَ وَسَّعًا مَعَ كَلُعِ
مَدَّهَ لَأَ حَصَّاجِيئَهُ: هَلَّا لَأَ خَلَّتَا حَفَّهُ كُفَّهَهُ.

4. من ذا الذي أحب العلم، ولم يكن محبوبا من كل أحد.

من ذا الذي كد في تعليمه ولم يكد العالم في مدحه.

إن أفضل شيء في حياة الإنسان أن يكون محبوباً من الناس ويحظى باحترامهم العالم الجليل قد كسب ود ومحبة واحترام المجتمع، فلولا الود وهذه المكانة وما الجوائز التي تمنح للعلماء والمبدعين سوى دليل على هذا التقدير العالي من أبناء المجتمع، بل حتى الهيئات والدول تكرم علماءها ومبدعيها من خلال مثل هذه الجوائز .

مَع حَيِّ مَع مَعْلَمًا: وَحُكْمَهُ لِيَا مَعْنِي
مَع وَسَعَهُ هَلَّا أُمَّلًا: مَع حَسْبَهُ مَعْنًا

5. من ذا الذي تنذر من العلم كأنه غمط له حق قراءته
من ذا الذي أحبه ولم ينتفع من عشرته الكيسة
لا يوجد من يتنذر من العلم إلا من لا يعرف قيمته، وهل كان العلم يوماً ناكراً للجميل؟ كلا وألف كلا، فالعلماء وفي كافة أنحاء المعمورة لهم مكانتهم المرموقة في المجتمع.

أَسَا لِحَصْبًا هُوَا كَه: هَلَّا مَحَلًّا هُوَا لِحَصْبِهِ هُوَا
مَعَهُ وَأَسَد حَسْبُهُ: هَلَّا هُوَا حُكْمًا فَعْدُهُ

6. من ذا الذي صار له تلميذاً، ولم يصر له الملوك تلاميذ
من ذا الذي أحب عشرته، ولم يضح في العالم أميراً.
أجل إن الملوك والحكام والرؤساء والمشيرين لا يستحون من أن يصيروا تلاميذ للعلماء لأنهم في حاجة دائمة إلى العلماء وفي جميع فروع المعرفة، كالطب والصيدلة والهندسة والقانون والاقتصاد والفن والموسيقى

والاجتماع والتاريخ لأن الحياة سلسلة مترابطة وإذا ما فقدت حلقة من هذه السلسلة فإنها لا يمكن أن تستمر في عملها.

ومحب العلم محبوب من المجتمع ومكانته محفوظة ومرموقة ويعيش معززا مكرما حيثما حل أو رحل ويكرم الملوك والأمراء والرؤساء وقادته عليهم. إلى أن يقول:

هَمَّحْ لَأْ هُمَّحْ وَ حَلَّحْ لَأْ وَحْه	حَلَّحْ وَ حَمَّحْ لَأْ وَ مَعْنَأْس:
هَأْمَحْ لَأْ وَ سَمَّحْ حَلَّحْ مَعْقَلَأْ	حُسْبَهْ وَآ وَ قَجَّجَأْ مَعْمَس:
حَمَّحْ مَأْمَأْ مَعْمَأْ كَه	هَأْ مَعْمَأْ نَأْمَأْ كَه:
مَعْمَأْ مَأْمَأْ مَجَّجَأْ مَجَّجَأْ	كُهْ لَأْ كَه حَلَّحْ نَأْ :

7. إنه يجعل المعوزين في بجموحة، فمن ذا الذي لا يسهر على بابه إنه يسند المناصب إلى المتسولين، فكيف لا يكون محبوبا لدى

الجهال

فإذا أوصل إلى الرئاسة المسكين الذي يكد في أثره
فكم ترى يعظم شأن الفتى لو كد في سبيله

العلم هو السبيل الوحيد للوصول إلى الأهداف وتحقيق الطموح فبغيره لا سبيل إلى الوصول إلى ما يبتغيه الإنسان، فبالعلم وبالعلم وحده يصل الإنسان إلى تلك الأهداف، سواء كانت مادية أو معنوية، فالرئاسة والسلطة المقرونة بالعلم ستكون أكثر نجاحا وثباتا وعطاء للشخص نفسه ولمجتمعه.

وهنا يبدو أن الشاعر قد تأثر بمار أفرام حيث لدى مار أفرام أبيات تحمل نفس الفكرة وشاعرنا قد أخذ الفكرة وصاغها في صورة شعرية أخرى.

مَكْلًا مَجْبًا : مَعَام حَنَام مَّتَحْنَهههه
مَج مَمَلًا كَل؛ مَهْفههه: وَمَحَقًا مَّصَهف مَّصَهأج

8. إن العلم يضفر إكليلا ويتوج به رأس محبيه

ويرفعه من المزيلة ويجلسه على عرش المملكة.

أليست الفكرة واحدة؟ وإن اختلفت الصورة الشعرية لديهما وهي جميلة ورائعة لدى الإثنيين وتدل على سمو وإبداع شعري. ولمار يعقوب السروجي الشاعر المبدع من القرن الخامس ومبتدأ القرن السادس قصيدة رائعة في العلم وفيها صور شعرية حلوة وذات نكهة ولا غرو فهو من فحول الشعراء السريان. حيث يقول:

مَفم مَجْبًا مَّصَمًا تَلَلُم مَّح قَمْنَا:
مَّصِب سَأ؛ حَلْحَا مَّصَح؛ مَجْبًا أَيْه

قم أيها العلم أحرز غلاتك من الأسفار

فمنك يأمل العالم أن يشبع لأنك مبارك

يخاطب شاعرنا العلم لحمل وجمع غلاته من الأشجار حاثا إياه على العمل والكد في سبيله، كما يضع في مصاف الغذاء للعالم لكي يشبع منه، وهو

بهذا قد أضاف كبد الحقيقة فإن العلم هو غذاء الإنسان الروحي بل إن بعض العلوم التقنية تعمل على توفير الغلال لسد جوع الإنسان المادي أيضا ثم يقول:

سَا أُوحِبُّ لِمَنْ مَعَهُ كَبُورٌ حُبٌّ
سَعْلُكَ نَجْعًا يَوْمَ صَمِّ دُنْ كَجِبْعًا وَمَعْنَتًا
حَسْبُ سَهْمًا صَمِّ حُبِّ حَمْلًا وَلَا مَصْعَدًا

10. إن بذارك حياة، فأكثر منه لمن يحبك.

أما حقلك فهي النفس، فضع فيها أكداس الحقائق.

لقد طمرت بين السطور ثراء لا ينفد.

يشبه الشاعر الحياة بالزرع، ويحثه على إعطاء المحب الكثير منه، فالزرع إذا أغلت وأثمرت منحت الإنسان العافية والهناء - وحقل العلم هي النفس التي كلما تعبت في طلب العلم ازدادت عطاء للمجتمع شبيهها في ذلك الحقل الذي يكون مليئا بالغلل يبهج الإنسان.

وكما أن الحقل إذا ما حرث جيدا فإنه يعطي الخيرات بسخاء كذلك

الكتب إذا ما درست بعمق واجتهاد تصير جزيلة الفوائد ويعم خيرها الشخص والمجتمع بل الإنسانية كلها.

وَجَلَّ سَقَطًا مَعَهُ هُجَجٌ هَامٌ وَأَسْلَاهُ هَاهُ
هُجَجٌ هَاهُ مَعَهُ مَعْتَدٌ لَأَهْتَهُ
هَاهُ أَوْ مَرَّ مَعَهُ مَعْتَدٌ هَاهُ هَلَا مَعْتَدٌ

11. يغرف منه جميع الحكماء، وهو لا يزال كما هو.

إن العقول تحمل من كنوزك إلى مخادعها.

ومع هذا فثراؤك العظيم يزداد ازديادا ولا ينقص.

نعم مهما غرف الإنسان من بحر العلم الزاخر يبقى هذا الخضم مليئاً ولا ينقص، فالكتاب لا تؤثر عليه كثرة القراءة فيه، بل يبقى كما هو يعطي كل من يقبل إليه بسخاء، والعقول التي تتغذى عليه تنمو في طريق المجسر وتكسب مكانة مميزة في المجتمع، وما من أحد سمع أن العلم ينضب إذا ما زاد عدد المتقدمين إليه، على العكس كلما تقدم البحث في حقول المعرفة والعلوم فتحت آفاق جديدة لخدمة الإنسان وراحته كالعيون الرائقة التي تروي ظمأ الإنسان.

12. ثم يقول

مَّ مَحْجُبًا هَوْنًا حُلْمًا مَّجْجَامًا

هَلْ حَصَصْتَنَا بِصُفْحَةٍ لَهُ حَمْلٌ وَمَصْجَلٌ

أجل، إن العقول لتفتي من العلم بغزارة

وهو يجزل الثراء للمساكين التابعين له.

هنا نستطيع أن نقول أن الشاعر قد تأثر في الصورة الشعرية التي أوردها سابقوه مار أفرام ومار إسحق الأنطاكي، فالمضمون والصورة متطابقان إلى درجة كبيرة.

فالفتى الحقيقي هو غني الفكر والسعادة الحقيقية ليست في كثرة المال ولكنها في الفكر الثاقب المليء بالحكمة والفهم.

13. ويرون قائلاً:

مَهْمَه نُهُوه حَبَجُمَا وَوُسْعُمَا وَبَلْمَكَا حَاه:

هُهْحُنَا مَهْمَه سَلَا هَرَمَا حَمَجَبُوهَاه.

يضرم ناره في النفس التي تهوى التباهي به.

فتحمل منه قوة وبهاء لتتنادي به

إن النار تطهر من الجراثيم ونار العلم تطهر النفس من جرثومة الجهل والتي إن أصابت شخصا أصبح ورالا على نفسه أولا وعلى مجتمعه ثانيا بل وعلى الإنسانية جمعاء.

والنفس البشرية بحب العلم تكون قوية ومنيرة وتشع بأنوارها على المجتمع، فلا سلاح أقوى من سلاح العلم، فهو الذي يكسب الإنسان الاحترام والتقدير، إضافة إلى أن العلم يؤدي بالإنسان إلى التقدم المادي والذي هو انعكاس لقوة الإنسان النفسية والتي جاءت عن طريق تراكم الخبرة والمعرفة. ومن هذه الجولة السريعة في حديقة الشعر السرياني ترى مدى اهتمام السريان في إرساء قواعد التربية والتعليم وإسهامهم في بناء حضارة هذه الأرض خاصة ودفع عجلة التقدم الإنساني عامة.

المصادر

1. الكتاب المقدس بعهديه.
2. اللؤلؤ المنثور للبطيريك أفرام برصوم.
3. المروج النزهية للمطران يعقوب أوجين منا.
4. اللآلئ المنثورة في الأقوال المأثورة للبطيريك يعقوب الثالث.
5. الآداب السريانية قولوس كبريال وكيل البستاني.
6. عبقرية مار أفرام للخوري برصوم يوسف أيوب.

المعجم السرياني والمندائي

إن اللغة السريانية عندما كانت متداولة على ألسنة الناس لم يحتج فيها إلى معاجم ولكن اضطر مدرسو شروح الكتاب المقدس إلى وضع نقاط خاصة للتمييز بين الكلمات المتشابهة في إملائها ومختلفة في معانيها جمعت فيما بعد ورتبت مع علاماتها الفارقة في مجموعات لاستعمال الطلبة، وكانت هذه الشروح النواة الأولى للمعجم السرياني.

إن أول المعنيين بالألفاظ السريانية وغوامضها هو عنانيشوع الحديابي المتوفى سنة 659م ويقرن دوماً عمل عنانيشوع بما أضاف إليه فيما بعد حنين ابن اسحق.

وكان لحركة الترجمة المباركة التي جرت في العصر العباسي الدور الأساس في بدء تأليف المعجمات حيث أن حنين ابن اسحق العبادي المترجم الشهير المتوفى سنة 873م أضاف إلى ما قام به سابقه عنانيشوع من شرح ألفاظ وعبارات وكما أن عنانيشوع تأثر باليونانيين في وضع محاولته المعجمية الأولى، يمكننا القول أن حنيناً تأثر بالعرب في استكمال محاولته المعجمية الناجحة.

أما زكريا أبو أيوب يحيى المروزي، الطبيب البغدادي من القرن التاسع فقد أضاف إلى معجم حنين زيادات عديدة استشهد بها ابن بهلول في معجمه الشهير إلا أن هذه الزيادات كانت غير مرتبة وجاءت أحياناً مضادة لتفسير حنين، فتلافياً لهذا الخلل قام أحد تلامذة حنين وهو يشوع بن علي الطبيب فألف بناءً على طلب من الشماس إبراهيم معجماً جديداً مستخدماً في

الوقت نفسه تفاسير حنين وزكريا المرزوي ويقر يشوع بن علي في مقدمة تفاسيره بأن كتابه ما يزال ناقصاً وغير متكامل.

وقام حنانيشوع بن سروشويه مطران الحيرة في نحو سنة 900م بتأليف معجم سرياني على أن ابن بهلول الذي يذكر كلا من صفات مجموعته تفاسير من هذا المعجم يحكم في مقدمته بكونه متقناً غاية الإتيان ويعد مكملاً لمعجم حنين.

في العلوم الفلسفية واللاهوتية وشرح الكتاب المقدس، ومما يثنى عليه ابن بهلول أعظم ثناء في معجمه دقته في استشهاده بالمؤلفات التي يذكرها، وقد اختصره المفريان شمعون المانعمي سنة 1742م اختصاراً لا يفي.

وكان إيليا النصيبيني الذي وضع كتاباً أسماه "كتاب الترجمان" وهو يمتاز عما سبقه من المعجمات سواء بشكله أم بدقة شروحه وأحكامها وهو معجم عربي سرياني محبوب حسب ترتيب المواد والفصول وقد طبع حديثاً ونشر في دهوك سنة 2007 بعد تحقيقه من قبل الأستاذ بنيامين حداد.

وممن أزهروا في تضاعيف المئة الحادية أو الثانية عشرة قسيس فاضل اسمه أبدو كس الملطي، ألف لتلاميذه مجموعة لغوية تتضمن دروس القراءة التي كان يملئها عليهم، وضع لها نقاطاً وعلامات لضبطها وتمييزها دفعاً لمواطن الالتباس ثم جمعها وعرفت باسمه.

وهناك مجموعة من المعجمات محفوظة في المكتبات الأوربية كمخطوطات وأكثرها لمؤلفين مجهولين، ونذكر فقط المعجمات المعروفة أسماء مؤلفيها، مثل:

• جرجس الداني من لبنان، القرن الثامن عشر ألف معجماً سريانياً ضخماً.

• خدر الموصلي المتوفى سنة 1775 ألف وجمع معجمين وهما:

1. معدن الكنوز لكشف الرموز لكسيقون عربي - كلداني - تركي في أربعة مجلدات ضخمة، وقد بلغت الكلمات العربية المشروحة بالسريانية والتركية نحو 1340 كلمة.

2. قاموس كلداني - عربي، وضعه في روما سنة 1727م.

3. ميخائيل أزرق رئيس دير الشرفة المتوفى سنة 1886م، ألف معجماً سريانياً عربياً في مجلدين عدد الصفحات 672، 847. وهناك مجموعة أخرى مخطوطة من المعجمات في مكنتبات مختلفة،

ومنها:

1. نعم فائق المتوفى سنة 1930م، قاموس عربي - سرياني مطول.

2. البطريرك أفرام برصوم المتوفى سنة 1957م:

أ. معجم عربي - سرياني غير كامل.

ب. ذيل لغوي على قاموس حنا محفوظان لدى الأستاذ يحيى عبدالله برصوم ابن أخي المؤلف.

3. القس يوسف عيبا المتوفى سنة 1965م شرع بتأليف معجمين كلداني - عربي و كلداني - سوريث.

4. حنا زكريا بنيامين المتوفى سنة 1975م، ألف معجماً عربياً - كلدانياً هذا فيه حذو المنجد، وكان له معجم الألفاظ حسب المواد (النباتات - الحيوانات) عربي - كلداني.

5. الشماس حنا بشي من تكييف ألف معجما عربي - كلداني - سورث، بحوالي 2200 صفحة، وقد صورها مجمع اللغة السريانية.
6. الخوري ميخائيل مراد المتوفى سنة 1952م ألف معجماً سرياني - عربي الجزء الثاني في دير مار بهنام، قسم منه مسودة وتشمل الحروف (س، ش، ص، ض) ومبيضة وتشمل الحروف (ف، ق، ل) بنوع يكاد يكون متكاملًا وقد صورهما مجمع اللغة السريانية.
- وله قاموس عربي سرياني الجزء الأول المطبوع في الموصل سنة 1952م في 744 صفحة بخط عربي في حقلين من حرف (أ حتى بداية س) ولكن مستوى الطباعة والإخراج ضعيف، هذا وقد أعاد طبعه المطران يوحنا إبراهيم مؤخراً ضمن منشورات دار ماردين.
7. الأب جبرائيل القرداحي الحلبي اللبناني المتوفى سنة 1930م ألف معجماً سرياني - عربي - لاتيني كبير الحجم لدى البطريرك صفير. أما بالنسبة للمعجم الحديثة والتي هي قيد الاستعمال فهي ثلاثة:
1. أولها قاموس اللباب للأب جبرائيل القرداحي وهو في جزئين طبع الجزء الأول في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة 1887م وهو 620 صفحة. والجزء الثاني سنة 1891م وهو 701 صفحة وبحقلين وبخط غربي - عربي، ويمتاز هذا المعجم بأنه يورد نصوصاً من الأدباء القدامى لتوضيح المعنى وزيادة في التفسير، وقد أعاد طبعه المطران يوحنا إبراهيم في حلب سنة 1994م مع ملحق وبمجلد واحد.
2. المطران توما أودو الألقوشي 1855 - 1918م معجم سرياني ضخمة أسماه كنز اللغة السريانية، وقد طبع الجزء الأول منه في 492 صفحة

والثاني في 638 صفحة من القطع الكبير وذلك في مطبعة الآباء الدومنيكان في الموصل سنة 1897م بالحرف الشرقي وفي حقلين سرياني - سرياني، سرياني - عربي، مع توضيح بعض المفردات الصعبة باللغة العربية، وقد أعيد طبعه بالأفسيت في أميركا وهولندا والسويد. وحديثاً أعاد طبعه المطران كوركيس صليوا في بغداد.

3. أما المطران يعقوب أوجين منا فله معجم دليل الراغبين في لغة الآراميين وهو أكثر المعاجم المذكورة علمية وسهل المآخذ لذا فقد لاقى انتشاراً واسعاً كما أنه أشمل من جميع المعاجم المذكورة وهو المعتمد حالياً في أكثر المدارس السريانية وجامعاتها، ويمتاز عن غيره بكثرة المترادفات العربية وإدخال عدد من الكلمات الدارجة التي تحقق من أصالتها وهو في 837 صفحة، وقد طبع في سنة 1900م في مطبعة الآباء الدومنيكان بالموصل.

وقد أعاد طبعه المطران (البطريك) مار روفائيل بيداويد في بيروت 1975م مع ملحق في 133 صفحة يشمل على ألفين وخمسمائة لفظة جديدة وبإشراف لجنة متخصصة.

4. وله أيضاً معجم عربي - كلداني وقد وصل إلينا الجزء الثاني فقط (من حرف ف و ص الأخير) وهو في 28 + 852 صفحة من الحجم الكبير، بقلم المؤلف فرع منه في 24 تموز 1914م وهو محفوظ لدى الأستاذ إبروهم نورو المعروف بانشغالاته في حقل اللغة السريانية وقد أصدر مؤخراً كتاب تولدوثو وهو عبارة عن كتاب في حقل تطوير اللغة

السريانية مع ملاحق للكلمات المستخدمة والمصطلحات على شكل معجم وبعده لغات.

5. ولكن أوسع معجم هو المعجم الذي ألفه باين سميث والذي يقع في مجلدين ضخمين وباللغات السريانية واللاتينية واليونانية والآرامية والعبرية والعربية مع ذكر النصوص التي وردت فيها الكلمات مع مصادرها، طبع الجزء الأول في سنة 1879م في 934 صفحة عدا المقدمة في حقلين والجزء الثاني في سنة 1901م وفي 2258 صفحة عدا المقدمة في حقلين وقد أعيد طبعه في سنة 1981م ومؤلفه كان نائب مدير المكتبة الشرقية وعميد كلية اللاهوت في أكسفورد، ومعجم بروكلمان في 518 صفحة في طبعته الأولى برلين 1895م وفي 930 صفحة في طبعته الثانية 1928م وقد أعيد طبعه سنة 1965م.

6. أما الريان (المطران) جورج صليبا فله كتاب معلم اللغة السريانية جمع فيه كمية جيدة من المصطلحات الحديثة وهو ليس معجماً بالمعنى الصحيح ولكن الاستفادة فيه خصوصاً من الاشتقاقات في معظم العلوم والآداب والفنون المعاصرة ويقع في 283 صفحة ويلفظ عربي للكلمة السريانية صدر في القامشلي سنة 1965م.

7. وأصدر السيد عوديشو ملكو أسيثاً معجماً باللغة السريانية الدارجة (السورث) بعنوان "برعم اللغة" سنة 1997م ويحتوي على ملحق بالمصطلحات العلمية والأدبية والفنية والاقتصادية والطبية في 110 صفحة، وتأليف هذا المعجم كان في الأصل من لجنة مؤلفة من السيد عوديشو ملكو والأستاذ بنيامين حداد والسيد يونان الهوزي، وقد حدث

جدل كبير حول عائدة التأليف، كما صدر في دهوك معجم بالخط الشرقي عربي - كلداني بعنوان "الشعاع" سنة 2000م وهو من تأليف الأبوين شليمون إيشو خوشابا وعمانوئيل بيتو وقد سد فراغاً في المكتبة السريانية.

8. وظهر قاموس سرياني - هولندي من تأليف شمعون عتو طبع في انشخدة - هولندا سنة 1968م، وآخر سرياني - تركي سنة 1988م.

9. وطبع الدكتور إسحق إبراهيم قاموساً تحت إشراف الأستاذ عبد المسيح قره باشي دعاه "القاموس الحديث" في 292 صفحة وبخط عربي طبع في مطبعة الرافدين - القامشلي.

10. وصدر في بغداد معجم روض الكلم تأليف الأستاذ بنيامين حداد عربي - سرياني مع مدخل لغوي لسيادة المطران أندراوس صنا في جزعين بلغ عدد صفحاته 1292 مع ملحق بالأعلام وذلك عام 2005م من منشورات مركز جبرائيل دنبور الثقافي، وهو أحدث ما صدر في بغداد وبأسلوب أكثر علمية من سابقه، حيث يعتمد الجذر اللغوي.

11. وصدر معجم سرياني إنجليزي للخوري زكريا زيتون في سدي _ أستراليا سنة 2007م، أسماء صحته BUKHRO أي البكر، يتكون القاموس من 1243 صفحة.

ملاحظات على أهم المعاجم المتداولة اليوم:

1. اللباب، الخط غربي، يمتاز عن غيره بإيراد النصوص السريانية من المؤلفين القدامى زيادة في إيضاح المعنى، وقد أكد المؤلف فيه على التشديد الذي فقدته اللهجة الغربية واستعار علامة التشديد من العربية وكذلك علامة السكون لعدم وجود علامة لهما في السريانية، لكنه لا يورد الكلمات القياسية الاشتقاق إلا إذا ابتعد المعنى عن الجذر.
2. كنز اللغة السريانية: يكثر من الكلمات المشتقة ويورد الكثير من الكلمات والمصطلحات اليونانية مع إيضاح معناها بالسريانية وفي حالة عدم وضوح المعنى في السريانية يعطي المعنى بالعربية، كما يورد بعض النصوص.
3. دليل الراغبين: لا يورد المشتقات القياسية إلا ما ندر أو ما كان غير مأنوس أو بعيداً عن المعنى الأصلي أي الجذر ويكثر من المترادفات وأما في تبويبه الأبجدي فهو أدق من المعاجم الأخرى.
4. كنز اللغة السريانية (باين سميث): يورد الكثير من النصوص والشواهد مع ذكر مؤلفيها والمخطوطات التي أخذت منها فهو بذلك موسوعة تاريخية إضافة إلى المعاني، كما يورد المترادفات بالعربية والآرامية والعبرية بالإضافة إلى المعنى اللاتيني، ويذكر الجذور المماتة وهو أوسع موسوعة سريانية.

أما بالنسبة للمعجم المندائي فنسوق الملاحظات الآتية:

- أ. يعد المعجم المندائي والذي يقع في 490 صفحة المرجع الوحيد في اللغة المندائية والأدب المندائي الديني الطابع.

- ب. وصفه كل من الليدي دراور وكورت ماتسوخ باللغة الإنجليزية وبالحرف اللاتيني ولم يستخدم الخط المندائي ونعنقد أن السبب في ذلك هو كون النصوص المندائية المتوفرة لديهما قليلة في وقت وضعه.
- ج. ذكر المؤلفان أن الحرف اللاتيني يلبي الحاجة وأن الكلمات المندائية يمكن كتابتها بالحرف اللاتيني وهذا في رأينا غير دقيق ولا يتفق وطبيعة اللغات السامية.
- د. يعطي المعجم أصل الكلمة في اللغات الشقيقة الأخرى مع معانيها مما يتيح المجال للمقارنة والتأصيل وهذه صفة إيجابية، إضافة إلى ذكره لجميع المصادر المندائية وغير المندائية.
- هـ. لم يتبع المؤلفان جذور الكلمات التي يوردانها مما يجعل صعوبة في الحصول على الكلمة المراد الرجوع إليها.
- و. جاءت بعض الكلمات في غير محلها حسب الترتيب الأبجدي وذلك لسقوط بعض الحروف (وبخاصة الحلقية) مما أربك المؤلفين في وضعها في المكان الصحيح.
- ز. صدر في بغداد في عام 2004م القاموس المندائي من تأليف الشيخ خلف عبد ربه لفته والمهندس خالد كامل عودة ويقع في 382 صفحة عند دار أنهر المندائية للطباعة والنشر وهي بثلاث لغات المندائية مع اللفظ باللغة العربية والعربية والإنجليزية، وهو أول عمل يقوم به مؤلفان من أبناء الطائفة وبالخط المندائي وهذه بادرة جيدة على سبيل تعليم اللغة المندائية.

ح. إن ما يمتاز به هذا القاموس هو أنه استعمل السرد الأبجدي مما يسهل على القارئ الرجوع إلى الكلمة.

المقارنة بين منهجية المعجم السرياني والمندائي:

1. المعجم السرياني يعتمد على الفعل كأساس في بناء المعجم وترتيبه في حين لم يلجأ واضع المعجم المندائي إلى هذا الأسلوب.
2. المعجم السرياني جعل المفتاح باللغة السريانية (الخط السرياني) وأخذ الأصل ولم يذكر المشتقات القياسية إلا ما ندر أو ما كان غير مأنوس أو بعيداً عن المعنى الأصلي، وهذا غير موجود في المعجم المندائي إذ في بعض الأحيان يأخذ الاسم عوض الجذر الفعلي.
3. المعجم السرياني أوسع من المعجم المندائي من حيث عدد الأصول والكلمات ولكنهما ليسا في وسع المعجم العربي وغناه.

وكخلاصة نستنتج ما يأتي:

1. ليس هناك معاجم متخصصة كما في العربية حيث المعاجم الطبية والعلمية والهندسية والبلاغية والزراعية والاقتصادية والفنية وغيرها وعلينا العمل على نشر هكذا معاجم كما فعل الأستاذ بنيامين حداد في معجمه الفردوس الخاص بالنبات والذي صدر في اربيل سنة 2007م.
2. لم يجر مسح شامل للتراث من قبل مؤلفي المعاجم، فإن معجم دليل الراغبين وهو أحدث المعاجم وأشملها بلغت مصادره (66) مصدراً ولا يعقل أن تكون هذه المصادر حاوية كل التراث السرياني، فإذا أردنا أن نقوم بوضع معجم حديث يجب أن نستفيد من المعجم العربي وبقيّة

اللغات السامية الشقيقة بل وحتى اللهجات المحكية لإغناء هذا المعجم
كما فعل العرب عند وضع معجماتهم.

3. نقترح أن يكون الحرف الذي يطبع فيه المعجم موحداً لأن طبع المعجم
بخط شرقي أو غربي لن يفيد كثيراً وإنما يجب العمل على توحيد الخط
في كتب اللغة خصوصاً وهذه مهمة هيئة اللغة السريانية في المجمع
العلمي العراقي.

المصادر

1. الحسن ابن بهلول، القاموس.
2. باين سميث، الكنز السرياني.
3. توما أودو، كنز اللغة السريانية.
4. جبرائيل القرداحي، اللباب.
5. يعقوب أوجين منا، دليل الراغبين في لغة الآراميين.
6. ليدي دراور وكورت ماتسوخ، المعجم المندائي.
7. البطريرك أغناطيوس أفرام برصوم، اللؤلؤ المنثور.
8. الأب ألبير أبونا، أدب اللغة الآرامية.
9. بنيامين حداد، روض الكلم.
10. الأب شليمون إيشو خوشابا والأب عمانوئيل بيتو يوخنا، زهيررا.

حركة الترجمة الطبية في العصر العباسي

المقدمة

عرف العراقيون بالمستوى الطبي المرموق إبان الحضارتين البابلية والآشورية وقد ورث السريان هذا الإرث الحضاري إضافة إلى ما اكتسبوه من الطب الإغريقي بحكم اختلاطهم في المدارس التي أنشأوها حيث بلغت المدارس في عصرهم الذهبي ما يقارب خمسين مدرسة تدرس فيها مختلف العلوم والفنون إضافة إلى الفلسفة والطب، ولما جاء العرب وكان كلفهم شديداً بالعلم والمعرفة وبناء الأمة العربية على أسس علمية سليمة، وجدوا في أبناء عموماتهم السريان خير معين للوصول إلى هذا الهدف، لذا شمر السريان عن ساعد الجد لأداء هذه الخدمة الإنسانية في تعريب وترجمة وتأليف الكتب النفيسة من مختلف اللغات اللواتي كانوا يجيدونها وتركوا تراثاً ضخماً أصبح بعدئذ الأساس في بناء الحضارة العربية يدا بيد مع إخوانهم العرب ومن بعدهم للإنسانية جمعاء، بل عادت أوروبا لتبني على أساس ما بناه السريان والعرب نهضتها بعد أن كانت في ظلمات العصور الوسطى.

قد ذكر ابن العبري وابن أبي أصيبعة في كتاب طبقات الأطباء: "ولذلك العلماء نحو علم الطب وكتبوا فيه المصنفات الكثيرة مدة عشرة قرون وقد بلغ عدد الأطباء الذين اشتهروا من السريان الغربيين أقل من السريان الشرقيين".¹

¹ حركة الترجمة والنقل في العصر العباسي ص 85.

وقد أحصى البطريق أفرام برصوم في اللؤلؤ المنثور سبعة عشر طبيا، والأب الدكتور شحاتة قنواني سبعة وثمانين طبيا وصيدلانيا في كتابه "المسيحية والحضارة العربية"، أما الأستاذ موسى زغلول فقد ذكر في كتابه "حركة الترجمة والنقل في العصر العباسي" تسعة وعشرين طبيا وصيدلانيا. والترجمة عملية تهدف إلى الكلمة الأكثر مطابقة للكلمة المراد ترجمتها، إن من حيث المعنى أو من حيث الأسلوب وهذا ما دعى المترجمين إلى إعادة النظر في ترجماتهم.

والترجمة تكون عادة بإحدى طريقتين: الترجمة الحرفية والمعروفة بطريقة ابن البطريق (سعيد ابن البطريق 877 - 940م) ومثل هذه الطريقة تلتزم الحرف دون المعنى فتكون على حساب الوضوح والدقة أي أنها تأخذ بظاهر النص وكل كلمة بحسب معناها القاموسي، فمثل هذه الترجمة تكون غير مصاغة لأنها آلية وغير حية.²

والطريقة الثانية وهي الفضلى وتقوم على تمثيل المعنى الحقيقي ثم أدائه بتعبير سلس ودقة علمية متحاشية الغموض ومتجنبنة التحوير وهذه طريقة حنين.³

وامتاز السريان بوفرة ترجماتهم وسعة مساهماتهم سواء ما ترجموه إلى لغتهم من الإغريقية (اليونانية) أو منها إلى اللغة العربية مع توخي الدقة والأمانة رغم الصعوبات والمشاكل التي جابهتهم، كما ساعدت اللغة العربية

² حركة الترجمة والنقل في العصر العباسي ص 127.

³ مهرجان أفرام حنين ص 313.

بمرونتها وسيادتها في أن تلعب الترجمة إليها دورها الهام كعامل حضاري ولها يعود الفضل الذي لا ينسى في إحياء العلوم التي طواها النسيان.⁴
ندرس هنا ثلاثة أطباء فقط تركوا بصماتهم واضحة على حركة الترجمة وذلك كي لا نطيل:

يوحنا ابن ماسويه (857م - 243هـ)

كان طبيبا ذكيا فائلا خبيرا في صناعة الطب وله كلام حسن وتصانيف مشهورة، وولاه الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة لما وجدها بأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم حين افتتحها المسلمون ووصفه أمينا على الترجمة وخدم هارون والأمين والمأمون وبقي إلى أيام المتوكل وكان له تلاميذ يقرأون عليه كتب المنطق وكتب جالينوس ومن مؤلفاته:-

كتاب البرهان

البصيرة

الكمال والتمام

كتاب الحميات

الأغذية

الأشربة

المنهج في الصفات والعلاج

القصد والحي

كتاب في الجذام لم يسبقه أحد إلى مثله

⁴ مهرجان أفرام حنين ص 45.

الجواهر الرحمن
تركيب الأدوية المسهلة وإصلاحها وخصه كل دواء ومنفعته.
رفع مضار الأغذية
كتاب في غير ما شيء مما عجز غيره
كتاب السر الكامل
السموم وعلاجها
كتاب في دخول الحمام ومنافعها ومضارها
الطبيخ
الصداع وعلله وأجاعه
كتاب السدر والدوار
كتاب لما امتنع عن علاج الحوامل في بعض شهور حملهن
محنة الطبيب
معرفة محنة الكماليين
دغل العين
مجسة العروق
الصوت والبعة
ماء الشعير
المرأة السوداء
علاج النساء اللواتي لا يجبلن
الجنين
تدبير الأصحاء

السواك والسنونات

المعدة

القولنج

نوادير الطبية

التشريح

كتاب في ترتيب سقي الأدوية المسهلة بحسب الأمزجة والأزمنة

كتاب تركيب خلق الإنسان وأجزائه وعدد أعضائه ومفاصله وعروقه ومعرفة

أسباب الأوجاع ألفه المأمون

كتاب الإبدال حنين ابن إسحق

كتاب الجامع في الطب⁵

حنين ابن إسحق (809 - 873 م / 194 - 260 هـ)

يقول المستشرق الشهير لوكلير في كتابه عن الطب العربي: "يعد حنين أقوى شخصية أنجبها القرن التاسع بل من أشد رجال التاريخ ذكاء وأحسنهم خلقاً، فنطاق أبحاثه لشاسع الأطراف واختلاف أنواعها وامتيازها وأهميتها، والمحن التي تحملها بشجاعة ونبل في بدء حياته العلمية وفي أثنائها لما يبعث على الاهتمام ويجذب إليه القلوب وهو وإن لم يكن باعث النهضة في الشرق إلا أن أحداً لم يشارك في تلك النهضة مشاركة فعالة راسخة ومثمرة كما فعل حنين".

⁵ تاريخ مختصر الدول ص 131، حركة الترجمة ص 97، المسيحية والحضارة العربية ص 156.

وقد بدأ حنين الترجمة والتعريب حين كان في السابعة من عمره وأبدع بعد ذلك وفاق جميع المترجمين والمعربين وتنبأ له جبرائيل بمستقبل باهر حين قال له بأنه "سيفضح الذين ترجموا قبله ويتسقط زلاتهم"، وشهد له يوحنا بن ماسويه حين قرأ بعضاً من الكتب والنصوص التي مر بها بقوله: "ليس هذا الإخراج إلا إخراج مؤيد بروح القدس".⁶

وقد أجاد السريانية والعربية والفارسية واليونانية وقد كان حنين حريصاً على تأدية المعنى بدقة، فاهما مقتضيات النشر العلمي ووجوب الرجوع إلى أحسن المخطوطات ومراجعة الترجمات السابقة للكتاب المعرب وتقسيم العمل بين عدة أشخاص فواحد يترجم من اليونانية إلى السريانية وآخر من السريانية إلى العربية وثالث يراجع النصوص منقحاً، وبجانب ترجمته لكتب جالينوس، نقل حنين إلى العربية عدداً من كتب أبقراط.⁷

مؤلفاته

كتاب المسائل: وهو المدخل إلى صناعة الطب لأنه قد جمع فيه جملاً وجوامع تجري مجرى المبادئ الأوائل لهذا العلم.

كتاب العشر مقالات في العين: وقد نشر هذا الكتاب الفريد الدكتور مايرهوف نشرة علمية وقدم لها مطولاً وترجمه إلى الإنجليزية سنة 1928م.

كتاب المسائل في العين: اختصار الست عشرة لجالينوس ومحرر على طريقة السؤال والجواب ألفه لولديه داؤد وإسحق وهو مئتان وتسع مسائل وقد نشره

⁶ شمس آرام شمس العرب ص 263

⁷ حركة الترجمة ص 132، المسيحية والحضارة العربية ص 159، شمس آرام شمس العرب ص 263

الأب سيات والدكتور مايرهوف بالقاهرة سنة 1938م، وقدما له وترجماه إلى الفرنسية.

كتاب الترياق

تفسير كتاب الصناعة الصغيرة لجالينوس (المدخل) والذي ترجم إلى اللاتينية تحت عنوان (Isngogc Jalannotis).

اختصار كتاب جالينوس في الأدوية المفردة: إحدى عشرة مقالة.

مقالة في ذكر ما ترجم من كتب جالينوس وبعض ما لم يترجم كتبها إلى علي بن يحيى المنجم.

مقالة في ثبت الكتب التي لم يذكرها جالينوس في فهرست كتبه.

ثمار كتاب أبقراط في المولودين لثمانية أشهر.

كتاب في النبض.

كتاب في الحميات.

كتاب في البول.

كتاب في معرفة أوجاع المعدة.

كتاب في امتحان الأطباء.

كتاب في طبائع الأغذية.

كتاب في تدبير الأصحاء.

كتاب في تشريح آلات الغذاء.

كتاب في تركيب العين.

كتاب في حفظ الأسنان.

كتاب في تسمية الأعضاء على ما رتبها جالينوس.

أجمل مقالة جالينوس في أصناف القطط الخارج عن الطبيعة.
هذا وقد بلغ مجمل ما ترجمه حنين إلى السريانية خمسة وتسعون كتابا
وترجم إلى العربية منها تسعة وثلاثون، هذا بالإضافة إلى مراجعة ترجمة
تلاميذه فأصلح ستة كتب مما نقل إلى السريانية ونحو من سبعين كتابا إلى
العربية كما راجع وأصلح معظم الكتب التي كان قد ترجمها إلى السريانية
سرجيس الراسعيني وأيوب الرهاوي وغيرهما من الأطباء الذين سبقوه.

قسطا بن لوقا البعلبي (912م)

إنه مسيحي سرياني، طبيب حاذق نبيل، فيلسوف، مترجم عالم
بالهندسة والحساب وكان في أيام المقتدر بالله. قال عنه ابن العبري: "كان جيد
النقل فصيحاً باللسان اليوناني والسرياني وأصلح نقولا كثيرة، وله رسالة كثيرة
في الطب وغيرها، وكان حسن العبارة جيد القريحة".⁸

مؤلفاته:

- كتاب الدم.
- كتاب البلغم.
- كتاب الصفراء.
- كتاب السوداء.
- كتاب السهر.
- كتاب علة موت الفجأة.

⁸ تاريخ مختصر الدول ص 149

كتاب معرفة الحذر وعلاجه.
كتاب في القوة والضعف.
كتاب في الأغذية.
كتاب في النبض.
كتاب في الأخلط الأربعة وما تشترك فيه مختصر.
كتاب في الكبر وخلقتها وما يعرض فيها من أمراض.
كتاب في مراتب قراءة الكتب الطبية.
كتاب في تدبير الأبدان.
كتاب في وقع ضرر السموم.
كتاب في الاستدلال بالنظر إلى أصناف البول.
كتاب في أوجاع النقرس.
كتاب جامع في الدخول إلى علم الطب.
كتاب في النبض معرفة الحميات.
كتاب في عضد.
رسالة في الخصاب.⁹
ويمكن إجمال الكتب التي ترجمت إلى السريانية ومنها إلى اللغة العربية أو
إلى العربية مباشرة:
كتب أبقرط:

⁹ حركة الترجمة والنقل ص 137/ المسيحية والحضارة العربية ص 173

كتاب عهد أبقراط بتفسير جالينوس ترجمة حنين إلى السريانية وترجمة حبيش وعيسى بن يحيى إلى العربية.
كتاب الفصول بتفسير جالينوس ترجمة حنين إلى العربية.
كتاب مقدمة المعرفة بتفسير جالينوس ترجم النص حنين إلى العربية.
كتاب الأمراض الحادة بتفسير جالينوس وهو من مقالات ترجم إلى العربية عيسى بن يحيى ثلاث مقالات.
كتاب الكسر بتفسير جالينوس ترجمه حنين إلى العربية.
كتاب أبيديميا بتفسير جالينوس ترجمه عيسى بن يحيى: ثماني مقالات إلى العربية.
كتاب الأخلاط بتفسير جالينوس: ثلاث مقالات نقلها عيسى بن يحيى إلى العربية.
كتاب الماء والهواء بتفسير جالينوس: ثلاث مقالات ترجم حنين النص إلى العربية والتفسير حبيش.
كتاب طبيعة الإنسان بتفسير جالينوس: ثلاث مقالات ترجم حنين النص إلى العربية والتفسير عيسى بن يحيى.

كتب جالينوس: (الكتب الستة عشر التي يقرأها المنظبيون)

كتاب الفرق: نقل حنين مقالة.

كتاب الصناعة: نقل حنين مقالة.

كتاب إلى طوثرن في النبض: نقل حنين مقالة.

كتاب إلى أغلوثرن في التأي للشفاء: نقل حنين مقالتين.

كتاب المقالات الخمس في التشريح: نقل حنين.
كتاب الاسطقصات: نقل حنين.
كتاب المزاج: نقل حنين.
كتاب القوس الطبيعية: نقل حنين ثلاث مقالات.
كتاب العلل والأمراض: نقل حنين ست مقالات.
كتاب النبض الكبير: نقل حنين ست عشرة مقالة أربعة أيام ونقل حنين
مقالة إلى العربية.
كتاب الحميات: نقل حنين مقالتين.
كتاب البحران: نقل حنين ثلاث مقالات.
كتاب أيام البحران: نقل حنين ثلاث مقالات.
كتاب تدبير الأصحاء: نقل حبيش ست مقالات.
كتاب حيلة البئر: نقل حبيش إلى العربية وأصلح حنين الست الأول
والكتاب أربع عشرة مقالة وأصلح الثمانية الأواخر محمد بن موسى.

الكتب الخارجة عن الستة عشر: (لجالينوس)
كتاب التشريح الكبير: خمس عشرة مقالة لم يذكر حنين في فهرسته من
نقله إلى العربية.
كتاب اختلاف التشريح: نقل حبيش إلى العربية مقالتان.
كتاب علم أبقراط بالتشريح: نقل حبيش إلى العربية ثلاث مقالات.
كتاب أرسطو طاليس في التشريح: نقل حبيش ثلاث مقالات.
كتاب تشريح الرحم: نقل حبيش إلى العربية مقالة.

كتاب حركات الصدر والرئة: نقل اصطفن بن باسيل وإصلاح حنين ثلاث مقالات.

كتاب علل النفس: نقل اصطفن بن باسيل وإصلاح حنين لولده مقالتان.

كتاب حركة الفصل: نقل اصطفن بن باسيل وأصلاح حنين مقالتان.

كتاب الحاجة إلى النبض: نقل حبيش مقالة.

كتاب منافع الأعضاء: نقل حبيش وإصلاح حنين سبع عشرة مقالة.

كتاب الأدوية المفردة: ترجمة حنين إحدى عشرة مقالة.

المني: نقل حبيش مقالتان.

المولود لسبعة أشهر: ترجمة حنين.

محنة الطبيب: نقل حبيش مقالة.

تركيب الأدوية: نقل حبيش سبع عشرة مقالة.

هذا بالإضافة إلى ما نقله أيوب الأبرش الرهاوي حيث قال عنه ابن

أبي أصيبعة: "ما نقله في آخر عمره يضاهاى نقل حنين"، فقد نقل من كتب جالينوس الطبية (35) كتاباً.¹⁰

وبهذا العمل استطاع السريان والعرب إنقاذ تراث الحضارة اليونانية

والرومانية من الضياع ولم يكتفوا بنقله فحسب، بل كانوا أصحاب مبدأ علمي

وأمانة وأضافوا من عندهم الكثير من الكتب والمقولات معتمدين على الملاحظة

الموضوعية ومنطقية المنهج العلمي في البحث.

¹⁰ شمس آرام شمس العرب ص 269

المصادر

1. موسى يونان غزال، حركة الترجمة والنقل في العصر العباسي، بيروت، 1973م.
2. مهرجان أفرام حنين، بغداد، 1974م.
3. ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، بيروت، بدون تاريخ.
4. الأب الدكتور جورج شحاتة قنواني، المسيحية والحضارة العربية، بيروت، 1984م.
5. عبد الهادي نصري، شمس آرام شمس العرب، حلب، 1986م.
6. البطريق أفرام برصوم، اللؤلؤ المنثور في العلوم والآداب السريانية، بغداد، 1976م.

نظرة في سيرة الملفان مار أفرام السرياني شاعراً مُنْتَهَى كَفِّمْ صَهْوُماً كُؤْمُؤُؤَا ٥٥

حياته

ولد في نصيبين سنة 306م وتوفي في الرها سنة 373م. درّس في جامعة نصيبين 38 سنة، وعندما رحل إلى الرها سنة 363م إثر استيلاء الفرس على مدينته وسّع مدرستها، وعمل في التدريس فيها 10 سنوات.

الغاية

منحته الكنيسة ألقاباً كثيرة وهو جدير بها، منها كنارة الروح القدس، نبي السريان وشمسه، أمير شعرائهم المطبوعين. وطوّب أخيراً من قبل قداسة البابا بندكتس الخامس عشر باعتباره ملفان الكنيسة الجامعة. أقول أنشد فأطرب ونبضت بمحبته القلوب، ونظم القصائد العصماء وعشقتها وهامت بها النفوس، وحلّق في سماء الروح كالنسر فأخذنا على جناحيه مفتونين بما جاء به من عالم الروح، وغاص في أعماق الكتاب المقدس فخلف لنا إرثاً نفاخر به الدنيا، ذلك هو أفرامنا العظيم.

الصفات العامة لشعره

1. شاعريته ملتبهة، ونفسه مديد، ورقته ساحرة.
2. لغته صافية نقية قلما تجد فيها للدخيل والغريب مكاناً.

3. جملة رصينة ومنمقة ومحبوكة بكل دقة وعفوية.
4. ألفاظه جزلة وقدرته فائقة على التوليد والتجديد.
5. صورته الشعرية رائعة وجريئة وملونة زاهية وللطبيعة دور كبير فيها.
6. بحوره الشعرية كثيرة ومتنوعة ولئن عرف بالبحر السباعي الذي ابتكره خصوصاً في أناشيده.
7. أوزانه متعددة كالبيسط والمركب والمضاعف والأبجدي.
8. محبته لوطنه عميقة وصادقة وواضحة خصوصاً في قصائده المعروفة بالنصيبينية.
9. أغراضه الشعرية متعددة بل لا يمكن حصرها. فقد كتب في الإلهيات وسير الآباء والمديح ورتاء النفس الخاطئة وهجاء أهل البدع والنصح والتأديب والمحبة والحكمة والوصف. وللطبيعة مكان بارز فيها خصوصاً في أناشيد الفردوس.
10. رغم بساطة جملة وسهولتها للوهلة الأولى إلا أنها تحمل الكثير من المعاني والتأويلات والعمق فهو الجامع لكثير من المعاني في قليل من الألفاظ.
11. فنه يأسر القارئ ويجعله يتابع قراءة قصائده وأناشيده وموشحاته صاغراً فهو كالماء القراح لمن قتله الظمأ، فلا مندوحة لديه إلا الشرب من هذا النبع النقي والارتواء من مائه السلسيل.
12. عرف مار أفرام القافية وأجاد فيها. وقد استعملها في بعض من طلباته وأناشيده.

13. يستعمل المناظرة في أناشيده. وفي هذا صدى للأدب النهريني القديم حيث قد وصل لنا هكذا مناظرات من السومرية على الألواح المكتوبة قبل أكثر من أربعة آلاف سنة مثل المناظرة بين الصيف والشتاء والطير والسماك، وكذلك هنالك مناظرات مشابهة باللغة الأكديّة. والآن فلنحاول النزول إلى هذا اليم العميق ولئن كانت السباحة فيه غير سهلة، ولكن لا بأس من المحاولة علنا نجمع بعضاً من لآئه الغالية.

1. قلنا إنه استعمل الكثير من الأوزان في نظمه منها مثلاً الأبجدي

صَعَسَا هَسَسَا. والذي يتألف من جمل منمقة، أي مثل جمل بسيطة ومركبة. ويقسم إلى قسمين، المحدود بالجمل العددية، وغير المحدود.

أما المحدود، فيميز ويعرف بمكان الجمل الكبيرة والصغيرة، البسيطة والمركبة، ومنها ما يأخذ مكاناً وتحدد بالعدد، فتؤلف الأناشيد وبقيّة الألحان المقسمة إلى أبيات، كقوله:

هذا الشهر الحامل كل
الأفراح
حرية العبيد، فخر الأحرار
زينة الأبواب بهرجة الأجساد
ويحل بمحبته الأرجوان
كأن على الملوك

هَسَسَا هَسَسَا. هَسَسَا هَسَسَا. هَسَسَا هَسَسَا.
هَسَسَا هَسَسَا، هَسَسَا هَسَسَا
هَسَسَا هَسَسَا، هَسَسَا هَسَسَا
هَسَسَا هَسَسَا، هَسَسَا هَسَسَا
هَسَسَا هَسَسَا

فبدايته ونهايته على وتيرة واحدة.¹¹

2. استعمل الوزن المضاعف **مَعْمُودًا حَصِيدًا**، وهو ما قطع بوسط العنصر، إما بنقطة أو بمعنى. ويتركب من عنصرين متساويين، ويربط بحروف متجانسة في النهاية. وبهذا يتميز عن البسيط¹²، كقوله:

حَسْبُ مَحْمُودٍ مَخْرُودًا. مَعْمُودًا
رَأَيْتَ فِيهَا أَسْرَارَ الْمَلَكُوتِ
أَمْسَتْ

رموزاً وأيقونات
سَمَّاهُ ذُو إِوْرَا. حَتَّى مَلَكُهُ إِعْقَابًا
تلك العظمة. وأصبحت
مَعِينًا وَشَرِيتَ مِنْهُ أَسْرَارَ
هَلْ مَعْقَمًا

وَهُوَ زَحَّالٌ. هُوَ ذُو صَحْبَا. هُوَ مَعْمُودٌ
الابن.
مَعْمُودٌ

إِوْرَاةَ وَجْهٍ¹³

3. استعماله الكثير من المحاسن اللفظية **مَعْفَاً قَبْ قُبًا** كبناء الأبيات الشعرية، أو القصيدة على الحروف الأبجدية بالتسلسل كقوله في أنشودة العالم:-

¹¹الشعر عند السريان، ص 22، 23

¹²الشعر عند السريان، ص 20

¹³ المروج الذهبية، ج 1، ص 41

ا. اَمَّ اُسُّهُ; حُبُّ حُكْمًا; مَلَأَ حُقُقًا; وَجَبَدَهُ تَجَلًا مَلَأَ سَهْبًا.
د. حَتَمَ لُتْصُدًا; وَوَحَدَ كَدَّ عَمَلُهُنَّ; وَحَصَّنَا سِتَّ سَلْهَدَ
أُسُّهُ.

ه. نَجَدَتَ هَلَا; وَجَعَدَ هَمًّا; وَوَجَعَدَ صَهَبًا; وَأَعْنَا حَبًّا; وَلَا
فَهْوَ عِي.

و. وَلَا تَبَحُّهُ سَمًّا; وَلَا حَرَّصَتَ سَمَلَتَ; وَكَدَّ حَبِّمَ سَلَمًا; وَمِنَّا
كُو¹⁴.

وترجمتها:

- أ. كيف أتفرس بك أيها العالم المملوء بالهموم وحبك يملأه الغدر.
ب. ما أشر الطعم الذي زرعتَه فيّ بسلطانك إذ خلطت حياتي بالمرارة.
ج. سرقنتني دون أن أشعر وعندما شعرت أسرعرت لأنجو منك دون انفصال.
د. دون أن أعرف نظرت بدون إرادة، أريبتني أن لا شيء أفضل من أن أقتنيك.
إنه يجول في هذه القصيصة في عالم الحكمة فيصور لنا بطلان العالم وغش
أمجاده، وإن من يقع في شرك محبته صعب عليه أن يفلت منها، ولا فائدة
مرجوة منه، حيث أن جماله باطل وطعمه مخلوط بالمرارة. فكيف يقول البعض
إن ملفاننا لم يعرف الحكمة؟
4. من محاسنه اللفظية أيضاً وضع الحرف نفسه في بدء كل دعامة كقوله:

¹⁴ الأناشيد المختارة، ص 115

وَمَا هُوَ وَحَيْ. وَمَا هُوَ لَأَكْبَا. وَهَيْ حَبَا مَعْت. وَبَعْمَع
عَمَا. وَكَلَا مَع. وَبِوَا حُو.¹⁵

والترجمة: يشقى ضميرنا، ويشبه الشجرة المحتاجة، كل يوم إلى أن تسقى.
فلنشكرنك على الأقل.

وهنا يستعمل الوزن الأبجدي حيث الجمل المنمقة والبسيطة، والمركبة.

5. ومن محاسنه اللفظية استعماله الجناس **بَعْمَعُ**، وهو أن يأتي بالكلمة
نفسها، ولكن بمعنيين مختلفين كما في المثال الآتي:

وَمَا مَعُ أُو، هَسَ مَعَا حَبِيَه كَلَا أُمْنَا حَبَا:
هَسَ مَعَا وَهَمْنَا وَلَا مَعَا لُحْتَا وَحَبِيَه كَلَا أُمْنَا حَبَا.

حيث أن الفعل **مَعَا** في البيت الأول يأتي بمعنى حلّ أو سكن، بينما
في البيت الثاني، بمعنى فكّ، مَرَّق، افترع.

6. ومن محاسنه اللفظية استعماله الدعاء **حَدَا**: وهو طلب الخير أو الشر.
لكن مار أفرام يستعمل النوع الأول، أي طلب الخير. حيث نسمعه يقول:

هَجُ كَدُ مَدَتَ وَجِي مَعِي؛ إِيَا حَنُكَا أَمَمَ مَعِي وَصِي
هِي، هَسَ لَهَجُ وَصِي إِيَا كَدُ وَلَا سَلَمِيَا لَهَا مَدَتَ¹⁶

والترجمة: هبني اللهم عندما أكون ساهراً، أن أقف أمامك بيقظة

¹⁵ الشعر عند السريان، ص 66، 67

¹⁶ الشعر عند السريان، ص 64

وإذا ما غلبني النوم، فلا يكن نوم الخطيئة

7. ومن تفننه المقابلة الرمزية **فَهَسُحَا** **هُهْ فَهَسُحَا**: وهو بارع في هذا الأسلوب، فنراه مثلاً يقابل بين حواء الأولى والسيدة مريم العذراء حواء الجديدة، إذ يقول:

أَقْوَامَ فَهَسُحَا	أَقْوَامَ حَسْبَا
أَلْمَصَّصَةَ حَهْصُحَا	مَصَّصَ أَوْ سَهَا
إِسْبَا وَسَهَا ¹⁷	سُبَا حَكْبَا وَهَهَا

والترجمة: ساذجتان، بسيطتان

مريم وحواء وضعتا بالمقارنة

الواحدة علة موتنا والأخرى حياتنا

8. ومن محاسنه الشعرية وتفننه التكرار كما في المثال التالي من قصيدته حميم إيمانه.

هَلَا وَهَلَا حَلَا هُنَا	لَا وَسَهَا حَلَا هُهْ وَهَسَا
هَوَاتَ فَهَسَا وَجَسَا	هَلَا فَهَسَا وَهَسَا هَلَا هَلَا
هَلَا هَلَا هَلَا هَلَا هَلَا	هَلَا هَلَا هَلَا هَلَا هَلَا
هَلَا هَلَا هَلَا هَلَا هَلَا	هَلَا هَلَا هَلَا هَلَا هَلَا
هَلَا هَلَا هَلَا هَلَا هَلَا	هَلَا هَلَا هَلَا هَلَا هَلَا

¹⁷ مهرجان أفرام حنين، ص 123

هَلَا لِكُلِّهَا مَتَمَّةٌ مَجْتَسًا وَجُئْنَا كَلَمًا

حيث نراه يكرر الكلمة في بدء الصدر حيث قد استعمل لا النافية، بينما نراه يستعمل حرف الواو في بدء العجز، وكل بعفوية ظاهرة، ودونما تكلف.

9. ومن فنه في التكرار بدء الصدر بأداة الشرط "لِ"، يليها فعل الشرط، ويجعل جواب الشرط في نهاية العجز، دليل انقياد اللغة طواعية كما في الأبيات التالية من القصيدة ذاتها "إيمانه الحميم".

لِيْ هُوَ وَحَدِّ لَأَجَا حِنْ حَسَبَتَ	مَدَّنَ مَعَ حِنِّهِ لَأَ سَهَبَتَ
هَلِيْ حَيِّ قِيَا وَهَمًا وَفَهْمًا	مَعَ أَجَا هَجَا بِهَسَتَ
لِيْ كَلَّ أَسْبُ وَأَهْنَبَا أَوْهَمَدَ	حَسَعَجَبَا وَحَجَبَ أَوْهَمَدَ
لِيْ أَمَدًا إِيْنَا حَا صَعَصَعَا	حَسَّهْنَا وَهَذَا أَمَّيْ ¹⁸

10. استعماله المطابقة **حُسَعَجَبَا**، وهي من الأنواع التي تفيد العبقرية والعلم وتعني جمع الضدين، كقوله:

سَمَّعًا لِأَعْلَى لَأَ صَهْبًا	هَلِيْ صَهْبًا كَصَجَبًا صَهْبًا
صَجَبًا لَأَعْلَى لَأَ وَصَمَّ	هَلِيْ وَصَمَّ كَصَجَبًا سَجَبًا

والترجمة: الحكيم لا يبغض أحداً والجاهل لا يحب أحداً
وإن أبغض فالجاهل وإن أحب فالجاهل صاحبه

¹⁸الأدب السريانية، ص164

هي صورة جميلة وتعكس واقع الحياة، حيث أن شبيه الشيء منجذب إليه. ومار أفرام هو من خبر الحياة خلال مدة تعليمه الطويلة في نصيبين والرها حيث تربو المدة التي قضاها في التعليم عن أربعين سنة، فجاءت والحالة هذه قصائده مفعمة بالحكمة ونتيجة خبرته الطويلة هذه.

نلاحظ أيضاً استعماله الفعل الذي ينتهي به الصدر كفعل شرط في بداية عجز البيت. حيث نراه في البيت الأول يستعمل لا النافية يليها الفعل في حالة الحاضر **لَا مَعْلًا**. ويبدأ العجز بنفس الفعل مسبقاً بأداة الشرط **بِئْسَ** ونفس الشيء عمله في البيت الثاني حيث ينتهي الصدر **لَا وَسْمَ**، ويبدأ العجز **بِئْسَ** دليل توشيته شعره بجمال النظم وجيد السبك.

9. ومن تفننه استعمال **مَهْمُجًا** في بدء القصيدة كما في قصيدته عن الحلم الذي رآه في صغره، حيث يقول:

سَتَّعَ وَلَا مَهْمُجًا لِيَا **دَهْمًا مَهْمًا وَوَهْمًا لِيَا**

بحياتكم لا أكذب في هذا الذي أقول

وهنا نراه قد استعمل ضمير المتكلم المنفصل المفرد **لِيَا** في نهاية الصدر والعجز

10. ومن محاسنه المعنوية **مَهْمًا مَهْمًا** استعماله الاستفهام **مَعَالِكُهُجًا**، كقوله في مناغاة مريم العذراء:

أَمْ أَعْلَمُ مَعْمَهُ سَلْجًا حُو مَعْمَحًا

أَمَّ لِلَّهِ كُفْرًا مِّمَّنْ قَدِ افْتَرَىٰ

أَمَّ كُفْرًا مِّمَّنْ قَدِ افْتَرَىٰ

فنرى أن الأبيات الثلاثة تبدأ بأداة الاستفهام مجزومة، وفي هذه المناغاة يبين مدى حرص العذراء في التعامل مع هذا المولود الإلهي الذي حير بسرّه العقول، فهو طفل يرضع ومنه تشع الأنوار.

قلنا إن أغراضه متعددة، فلندرس الآن بعضاً من هذه الأغراض.

1. الوصف: فله في وصف فردوس عدن قصائد جميلة وقد صارت مصدراً للكثير من الأدباء الذين تلووه فحذوا حذوه في النظم على غرار ما أخذوا من إحداها هذه الأبيات:

مَنْ سَأَلَ صَعْبًا. حَمْدَهُ وَأَكْبَرًا. هَاقًا مِمَّنْ كُتِبَ. هَيَّجَ وَجَلًا
لُحِصَّتْ. هَيَّجَ سَبَّ حَمْدَهُمْ. مَنَحَ حَمْدَهُمْ. هَاقًا حَمْدَهُمْ
مَعْدًا.

حَمْدًا هَلًا. هَاقًا حَمْدَهُمْ. كَرَامَةً وَلَا سَعْبًا. وَمَنْ حَمْدًا
حَمْدًا.

صَعْبًا كُتِبَ. حَمْدًا مِمَّنْ كُتِبَ. فَكَيْفَ لَمْ يَسْأَلَهُمْ. كَلَّا مَعْدًا
هَاقًا. مَعْدًا وَكَلَّا. كُتِبَ وَكَلَّا. مَعْدًا مَعْدًا مَعْدًا مَعْدًا

سُرًا حُبًّا وَحَلًّا وَعَا. مَهْلِكًا وَتَحْتًا. هَسْبًا لِسَدِّ قَلْبًا. مِ
فَنِيهِ وَهَوَّجًا.¹⁹

والترجمة:

من رأى مآدبة في قلب الشجرة، والثمار في متناول الأيدي، منضودة
من كل صنف، بترتيب وانتظام، تقدم بتميز، الفاكهة للأكل والشرب، والندى
للغسل. والأوراق للتنشيف، كنزاً لا ينضب لأن الرب يُغنيه.

الأشجار متكئة في الهواء النقي والبراعم تحتها ومن فوقها الفواكه وسماؤهم
الثمار والأزهار أرضهم، من سمع قط أو نظر السحاب فوق الرأس والمظال
ثماراً والثوب تحت الأرجل مفروشاً بالأزهار.

هنا يستعمل البحر الخماسي مع زيادة في الدعامات في البيت الرابع
والعودة ثانية إلى البحر ذاته.

وصف رائع للفردوس وصور شعرية ساحرة وجميلة تدل على رهافة
حسه ورقة مشاعره وتفاعله مع الطبيعة تفاعلاً إيجابياً في رسم بريشته لوحاته
البديعة المملوءة سحراً وفتنة ودفناً.

2. المديح مَهْلِكًا:

له قصائد جميلة تسحر الأبواب وتأخذ العقول في وصف مناقب السيدة
العدراء، وكذلك بعضاً من أساقفة الكنيسة ورؤسائها أيامه، نختار هذه الأبيات
من تقريره لأسقف نصيبين مار إبراهيم حيث نسمعه يقول:

¹⁹ المروج النزهية، ص 92

وَهُمْ أَجَا حَصِيَّتَا	مَلْمُ كَعَمَدَهُ وَأَجْنُومَ
حَمَمَهُمَا هَذَا لِأَجْنُومَ	وَالْأَبَ وَبِ أَسْمَ حُو حَيَا أَوْكَا
وَحَا كَلْبَسَهُ حَعُومَ	هَا مَنَحَلُّمُ حَيَا أَوْكَا
هَجَبًا حَتَّ مَهْجَبًا	حَبَّأَ وَهُمَا تَهَهُمَ حُو
حَيَّ وَنُومَ حَاجِنُومَ ²⁰	وَتَهَهُمَ حَبَّعَ مَهَبَا

والترجمة

أصبحت أباً لكثيرين	يناسب اسمك إبراهيم
كسارة زوجة إبراهيم	وإذ لم يكن لك زوجة
فربي بنيتها بحقك	فإن رعيتك هي زوجتك
وأبناء للموعد	ليكونوا أولاداً روحيين لك
مبارك من شبهك بإبراهيم	وورثة في عدن

إنه ربط جميل بين الأبوة الجسدية والروحية حيث أن إبراهيم أباً الآباء أصبح أباً لشعوب كثيرة من سارة امرأته والتي تمثل الكنيسة والتي كانت عاقراً في العهد القديم، فأثمرت شعوباً كثيرة في العهد الجديد، وكذلك الأسقف يلد أبناء كثيرين من جرن المعمودية للكنيسة، فتكون هذه الكنيسة شبه سارة في عطائها، وتربيهم تربية روحية وتؤهلهم لدخول ملكوت السموات.

²⁰ المروج النزهية، ص 97

إنه يستعمل هذا البحر السباعي حيث الدعامة الأولى فيه رباعية
والثانية ثلاثية ولم يغير في الدعامات، وهنا إذن الوزن من البسيط **مَعْمُلاً**
عَمُلاً.

3. الهجاء **عَمُلاً**:

وهو سيد هذا الباب إذ له باع طويل في تقريع أصحاب البدع حيث نسمعه
يقول:

مَعْمُلاً عَمُلاً	مَعْمُلاً عَمُلاً
سَمُلاً حَمُلاً	سَمُلاً حَمُلاً
عَمُلاً حَمُلاً	عَمُلاً حَمُلاً

والترجمة

باسم ديسان	من كنى ابن ديسان
أكثر من ديسان	إذ ناسبه ابن ديسان
حسكاً وزواناً	ليس ذاك جرف وجلب

هجو بسيط وكلام سهل ليس فيه ساقط القول ولا ذلك التجريح العنيف،
بل حتى في هجوه يستعمل الصور الشعرية الجميلة آخذاً من الطبيعة مصدراً
لنتيان مثالب الهجو. نعم إن الأفكار غير الصحيحة وغير المستقيمة والتي
تخالف العقيدة المسيحية تشبه الزوان الذي يخنق الحنطة فيتلفها ويبعث في

²¹ الآداب السريانية، ص 171

خبزها المرارة. وهكذا وجد في تعاليم ابن ديسان تلك المرارة، لذا حاربها بكل ما أوتي من قوة.

والآن لندرس صورتين من صورته الشعرية الكثيرة والتي لا يمكن حصرها حيث الجرأة والجمال والألوان الزاهية فهو الرسام الماهر الذي يرسم لوحاته بقلمه وليس بريشته ويحلق في سماء البيان والإبداع ولا غرو فهو كما يصفه البطريق أفرام برصوم في اللؤلؤ المنثور "إمام اللغة غير مدافع وشاعر السريان المفلق غير منازع وصفوة الشعراء المطبوعين أصحاب الإبداع المفتنين في الشعر وأجمعهم لكثير من المعاني في قليل من الألفاظ والكاتب الجيد السبك الحسن الصياغة"²² لناخذ هذه الصورة مثلاً:

أَسْكَبَهُ وَرَفَا صَحْبَهُ هَمَلُوا وَعَجَسُوا كَأَنَّهُ
بَعْدَ دَهْوٍ صَدَحَتْ وَتَقَطَّ وَمَعَهُ عَصَاهُ وَصَلَّاهُ نَهْوُ

والترجمة:

وصل سفير الصباح وقيثارة المجد بيده
عزف عليها وأيقظ النيام أن قوموا وسبحوا فقد وصل النور

صورة جميلة ورائعة تسحر النيام بل تخلب الألباب إنه يشبه النور كسفير الصباح والنور ذاته القيثارة بأنفاسها الشجية إذ أن الشمس بنورها تبعث

²² اللؤلؤ المنثور، ص 196

الدفء والحنان بل الحياة في الإنسان وأشعتها أشبه بلحن جميل. نعم إنه لحن يوقظ الأحياء من ليلهم الداجي فيسبحوا رب المجد على يومهم الجديد، وينقلهم بألحانه العذبة من ظلمة الخطيئة إلى نور الفضيلة ممجدين الله بقيثارتهم الروحية على نعمه وآلائه. إنه ينقلك إلى فوق حيث الحب الطاهر والجمال الصافي.

2. وهذه صورة أخرى:

أَبِي وَحَمَلُهُ مَعًا زَيْبٌ نَعْمَ
وَهَجُّهُ لِحَمَلِهِ حَمَلٌ
بِ حَمَلِهَا لِحَمَلِهَا وَرَمَلٌ
بِ حَمَلِهَا سُنْبًا هَوْسَعًا

والترجمة:

كما عادت الحمامة إلى نوح
لتعد هكذا طلبتنا
وهي حاملة غصن الزيتون
وهي آخذة الحنان والرحمة
إنه يرجع بك عبر الزمن وبأسلوب رشيق ليربط بين نوح وحمامته والتي
تمثل عودتها حاملة غصن الزيتون رضا الله عن الإنسان متمثلاً في شخص
نوح، نعم لقد أصبح غصن الزيتون علامة السلام والمحبة والوئام بين البشر مذ
عادت تلك الحمامة بذلك الغصن، بل علامة الأمل المشرق الباسم لمحبة الله
للإنسان وقبوله له. هكذا يربط شاعرنا بين هذه العودة المفعمة بالمعاني
المشرقة وبين عودة طلباتنا محملة بصفح الله عن خطايانا وآثامنا ومعاصينا
واستجابته لتلك الطلبات.
أما الملاحظة الفنية فهي كالآتي:

في البيت الأول استعمل دعامتين، الأولى ثلاثية والثانية رباعية في الصدر والعجز.

أما في البيت الثاني فقد استعمل الدعامة الأولى رباعية في الصدر والثانية ثلاثية وعاد وعكسها في العجز، حيث الدعامة الأولى ثلاثية والثانية رباعية. هكذا يتلاعب فنياً في بناء البيت الشعري بكل حرية وسهولة.

أما الموضوع المهم بل الذي هو مسك الختام في بحثنا هذا فهو القافية **مُجَّلاً**، حيث يذكر الباحثون في حقل الأدب السرياني أن السريان لم يعرفوا القافية إلا بعد اختلاطهم بالعرب، وخصوصاً في القرن التاسع الميلادي، صعوداً.

وهذا لعمري غير صحيح، فقد سبق لنا أن أوردنا بعض الأبيات المقفاة لكل من مار أفرام ومار نرسي وقصيدة لمار يعقوب السروجي في بحث سابق عن القافية بين الشعر السرياني والعربي، في ندوة سابقة للمجمع العلمي. واليوم نعود إلى الموضوع ذاته لنرى أن مار أفرام قد استعمل القافية في بعض من طلباته وأناشيده. فقد ورد في طلبته لصباح يوم السبت من صلاة الإشحيم حسب الطقس الماروني، المطبوع سنة 1863 وكذلك وردت نفس الطلبة في الإشحيم حسب الطقس السرياني الأرثوذكسي، الذي نشره البطريك أفرام برصوم في القدس سنة 1936 ستة عشر بيتاً مقفياً صدرّاً وعجزاً والقافية المستعملة هي **حلاً مُجَّلاً** أي المفعول المطلق. وفي أدناه هذه الطلبة:

حلاً بِمَكِّ كَلِّهِ أَلِهْ أَلِهْ مَحَّ كُجَّ وَهَسْ أَلِهْ

حَبَابُهُ فَجَبَانُهُ	حَدِيدُهُ مَذْمُومٌ وَجَبَانُهُ
وَيَسُّ مَلِينٌ كَحَبَابِهِ	وَعَبَا حَذِيذَةٌ فَصَبَابُهُ
وَهُجْرُهُ مِنَ الْأَصْبَابِ	وَهُوَ مَلِينٌ وَوَيْبَانُهُ
أَوْ حُرَّتُهُ تَأْتِي بِحَبَابِهِ	صُهُورًا وَصَحْبَةٌ سَكْرَانُهُ
أَجْعَلُ وَهَلَا يُوقَاهُ	وَعَمَلَةٌ كَثَلًا سَبَابُهُ
لِخَفِيسٍ عَنِ النَّبَابِ	لِأَصْفَعَةٍ وَخَدَمَاتِهِ
حَلَا قَلْبٌ رَمَابُهُ	وَبَحْبٌ وَسَطًا عَصَابُهُ
وَنَعْمٌ مَعَهُ مَكَلَابُهُ	مِنْ حَقْلٍ قُفْعُهُ وَوَابُهُ
وَعَدَّتْ كَبَابُهُ رَمَابُهُ	أُقْبَلُ فَجَبَانُهُ وَجَبَانُهُ
وَالْحَبُّ بِسَاءِ الْأَوْزَابِ	وَمَا وَبَالُ الْآتِ وَهَبَابُهُ
كَبَابُهُ نَهَاهُ فَرَسَابُهُ	تَلَكُّمٌ خَصْبٌ مَلْبَابُهُ
وَرَجَا لِحَبَابِهِ وَجَبَانُهُ	عَجَسًا لِأَجَابِ الْأَسَابِ
وَسَلَا لِحَبَابِهِ وَهَبَاتُ سَكْرَانِهِ	وَصَبَابُهُ لِحَبَابِ مَلِينِهِ مَبَابُهُ

أَهْوَى حَيْهًا مَحْنًا
مَسَعَتْ مَهْنًا
مَحَلِّمْ وَسَعًا مَعْدًا
حَجَلِيٍّ أَسْمًا²³

فلو كانت القافية في بيتين أو ثلاثة لاعتبرنا ذلك حدثاً طارئاً وعفويّاً ودون قصد، أما أن نجدها في ستة عشر بيتاً، فهذا دليل قوي وأكد أن مار أفرام، وهو ملك التجديد والتوليد، بل سيد المبدعين في سماء الشعر السرياني، ليس عليه بكثير أن تستهويه القافية بموسيقاها وهو من عرف بموسيقار الكنيسة.

وعليه، فلا مجال للقول أن السريان تعلموا القافية من العرب، بل أرى العكس من ذلك، فإن الشعراء العرب قد تعلموها من السريان حيث أن مار أفرام توفي سنة 373م وبينه وبين شعراء المعلقات بحدود قرنين من الزمان. هذا غيض من فيض من إبداعات شاعرنا الكبير مار أفرام السرياني، نأمل أن نكون قد وفقنا في إلقاء ضوء جديد على هذا الأديب العبقري الذي خدم التراث السرياني خاصة، والإنساني عامة، لأكثر من أربعة عقود، ورصع جبين السريانية بإكليل المجد والفخر، وسيبقى ينبوعاً ننهل منه ما دارت الأيام.

المصادر:

1. مار فيلوكسينوس يوحنا دولباني، الشعر عند السريان، حلب 1973م.

²³ الإصحيم حسب اللطقس الماروني، ص468، وحسب الطقس السرياني، ص222.

2. المطران يعقوب أوجين منا، المروج النزهية، طبعة ثانية، مجمع اللغة السريانية، بغداد 1977م.
3. الدكتور سيبستيان بروك، الأناشيد المختارة (جمع)، هولندا 1982م.
4. مجمع اللغة السريانية، مهرجان أفرام حنين، بغداد، 1974م.
5. البطريك أفرام برصوم، اللؤلؤ المنثور، طبعة الثالثة، المجمع العلمي العراقي، بغداد 1976م.
6. فولوس غبريال وكميل أفرام البستاني، الآداب السريانية، بيروت 1969.
7. الإصحيم حسب الطقس الماروني. بيروت 1863م.
8. الإصحيم حسب الطقس السرياني، نشر البطريك أفرام برصوم، القدس 1936.

عبدیشوع الصوبای شاعرًا

هو عبدیشوع بن بریخا مطران نصیبین وأرمینیا، أستاذ ماهر وشاعر مجید. رسم أسقفًا لسنجار وباعریایی أي طور عبیدین للسریان المشاركة ثم رقاہ البطریرک مار یبآلاها الثالث إلى مطرانية نصیبین لذا عرف بالصوبای نسبة إلى هذه المدينة. ترك عدة مؤلفات جلیلة تنم عن سعة أفقه وعمق تفكيره وتضلعه من علوم عصره. لكن ما یهمنا شعره.

الصفات العامة لشعره:-

1. التمكن العالی من اللغة السریانية وحنوه و غیرته علیها.
2. اختیاره الدقیق للألفاظ والكلمات والتلاعب بها.
3. قابلیته علی تولید الكلمات الجدیة والصیغ غیر المتداولة.
4. الوصف الجمیل خصوصاً فی اختیاره الصور الشعرية من الطبیعة.
5. شفافیته ورقته وعذوبة شعره.

والآن لندرس بعضاً من ميزات شعره الخاصة:

1. یبدأ القصیة عادة ببیت أو بیتین لیساً من صلب موضوع القصیة یجعلها فاتحة لقصیدته وبقافية غیر قافية القصیة.
2. یستعمل الأرقام للدلالة علی الاسم الذی تدور حوله القصیة دون التصریح بالاسم. كما فی قصیدته عن السید المسیح له المجد حیث یقول:

مَعْدُ فِقْمُهُ قَوْمٌ وَسَمِيحٌ حَمْدُهُ وَجَمْعُهُ
وَأَلْفُهُ دَجْبُهُ أَوْ حَمِيحٌ سَمْعُهُ كَلْبٌ مَحْمُومٌ

وترجمته:

اسمع أيها اللبيب كنية حبيبي رمزياً كم

هي بالمجموع سبعمائة وخمس وأربعون.

وفي حساب الجمل فإن اسم السيد المسيح "يسوع المسيح" يكون

سبعمائة وخمس وأربعون.

3. يستعمل القافية في صدر البيت وعجزه كما في قصيدة في وصف شهر

نيسان شهر الأزهير، حيث يقول:

أَجْبًا وَمَعَ كَلَّا أَجَّ نَسْرُ وَنَدْرُ كَدِّ حَقْلَاهُ وَأَعْحَسُ
كَدَّهُ وَجَبَلًا مَعْفَتَه نَسْرُ كَسْنَعَاهُ وَجَه نَعْرُ

وهنا الروي هو حرف الحاء.

4. يجب أن ينظم قصائده على حروف الهجاء جاعلاً كل بيتين بقافية واحدة

أعني بروي واحد كما في البيتين التاليين من قصيدته في وصف نيسان:

هُهْ مَعْدُ وَنَسْرُ مَعْفَتُهُ هَالَا مَعَ كَلَاهُ مَتَسَا مَا
نَعْرُ نَسْرًا كَلَّا وَجَبَلَا هَجَبَلَا هَوْقُهُ مَلَا نَسْرًا

فاتحة البيت الهمزة وهو نفس الروي لصدر وعجز البيت الأول. وأيضا روي صدر البيت الثاني أما عجزه فهو حرف آخر هو الحاء وهو ما ابتداء الروي لقصيدته كلها. نلاحظ شيئا آخر هو استعماله الهتاف **مُهَجَّبًا** ليجلب انتباه السامع وهو نوع من المحاسن المعنوية لإظهار لواعج النفس المخفية. وفي هذا دليل على سيطرته على اللغة والتصرف بها.

5. ومن تقننه أيضا أن الروي الذي يستعمله هو نفس الحرف الذي يبدأ به البيت كما في قصيدته الجدل بين النفس والجسد الخاصة بالأم الإنسان حيث يقول:

د: حَا وَفَنِعْ كَلَاوَمِ حَسَعَا هَمَلًا مَصْفُودًا وَحَا
 مَهْ وَكَلِّهِ وَمَعْ تَلَا حَا مَهْبُودًا حَكَّ مَنَجًا وَحَا
 د: حَابَّحَتَا مَهْ قَسَا مَعَا

هَ أَيَلَا مَسْفُودًا حَنَّتَا حَجَّحَا

حَصَّه وَكَلَّ حَعَلَّجًا وَنَحَا هَجَّبَ مَهْ قَوَّ مَعَا حَسَنًا
 حَا وَبَاوَمَحَا مَسْبَا مَحْنَسَمَا مَهْ مَعَا مَحَا
 مَعْجَا كَلَّهَا وَجَعَا حَنَجَا وَجَسَفَا مَحْنَجَا
 حَا مَحْنُورًا وَلَا فَهَجَا وَمَسَدَا لَأَمَّا مَهْ مَوْجَا

هَمُّهُ وَمَصْلُكُهُ مَعَ مَقْدَمِهِ نَدْوُهُ وَهَمُّهُ

والترجمة هي:

يبرق لونه كأشعة الشمس في العلى

وتشبه قامته غصن الآس والأرزز العالي.

يشبه فمه الإناء المصاغ من الذهب والفضة

وتقطر شفثاه الزعفران متى تكلم.

صورة جميلة سبكها بأسلوب أخذ مختارا من الطبيعة أفاظا بسيطة

جاعلا منها لوحة فنية رائعة تسحر الناظر إليها.

ولنأخذن صورة أخرى من نفس القصيدة:

هَمُّهُ وَمَصْلُكُهُ مَعَ مَقْدَمِهِ نَدْوُهُ وَهَمُّهُ

هَمُّهُ وَمَصْلُكُهُ مَعَ مَقْدَمِهِ نَدْوُهُ وَهَمُّهُ

هَمُّهُ وَمَصْلُكُهُ مَعَ مَقْدَمِهِ نَدْوُهُ وَهَمُّهُ

هَمُّهُ وَمَصْلُكُهُ مَعَ مَقْدَمِهِ نَدْوُهُ وَهَمُّهُ

والترجمة هي:

جلال منظره وبهاء حديثه يداويان

المعذب بأمراض الغضب والحقد القاسية

ويفوق بهاؤه الأزاهير وعطر الفقاح

بل إن أريجه أذكى من الوسن والآس والياسمين.

رسم مرة أخرى صورة جميلة مزركشة تسحر الأبواب ويتنفس البساطة المعهودة.

8. ومن تقننه استعماله المفعول المطلق كقافية وهو دليل آخر على تضلعه من اللغة السريانية وانقيادها له ولئن سبقه في ذلك الشاعر المبدع مار يعقوب السروجي من القرن السادس. إذ يقول:

لَا وَاجِبًا نَسَاهُ كَبَعًا حَصَّعَاهُ
وَأَيْدٍ زَبَّ أَصْبَاهُ هُؤَسَمِرُ سُبَا مَهْمَاهُ
لَأَعْنَا لَأَوَّلِي حَخْبَاهُ كَلْمَجْمَعًا لُجَاهُ
هَلْ أَسْهَلًا سَحَابُهُ أَسْهَلًا مَهْمَسًا أَسْمَاهُ

9. ومن محاسنه اللفظية ما يقرأ طرداً وعكساً وهو في الحقيقة سيد هذا الفن خصوصاً في مقاماته التي يحاكي فيها الحريري:

لَكَ قَبْلًا حَبٌّ رَمَدٌ وَهَمٌّ وَحُبٌّ أَسْمٌ فَلَكِي

وترجمته: باري الأقلام بكرٌ وغنى: وأشار وركبَ وأرضع وقسم.

أما في تزويق المعنى وإخصاب الخيال نراه يقول:

أ. الاستحضار **لُهِمُّجًا** وهو أن ينسب المتكلم كلامه لمن كان بعيداً أو ميتاً أو لمن خلا من الحس كقوله:

سَبِّ مَهْلًا فَبَّهْ حَسُّ أَسْتِ فَمُ يُقَمِّمُ هَاهُ مَعَّ حَلْمِ

فَلَمْ يَفْعَلْهُ لَمْ يَصَلِّكَ هُوَ كَيْسَ أَيْبٍ وَجَعَلُمَا
 وَلَا حَيًّا إِنَّا أَفْعَعْنَا أَيْبٍ وَوَسَّعْنَا فَيَسَّعْنَا سُبْحًا حُرًّا
 وترجمتها:

يا اخوتي التقيت بميت كان خارجاً من داره
 فتح فمه دون كلام وقال لي وهو صامت
 لا أستطيع البقاء عندك إذ أن جسدي يبعث رائحة كريهة

ب. المطابقة **حسدها**: وهو جمع الضدين كما في البيت الثاني:

فَلَمْ يَفْعَلْهُ لَمْ يَصَلِّكَ هُوَ كَيْسَ كَيْبٍ وَجَعَلُمَا
 إذ كيف يفتح فمه دون أن يتكلم ويقول وهو صامت. وهذا نوع من
 الأنواع التي تزيد العبقرية والعلم في التزييق.

ج. حسن الابتداء **حسبها** **عها**: كقوله:

لُحًا مَصْدًا وَأَجْدَاهَا وَهِيَ الْخَفِيَّةُ الْخَفِيَّةُ
 هُوَ كَيْبٌ كَيْبًا فَيَسَّعًا وَوَسَّعًا مَحَّ سُبْحًا كَيْبًا
 وترجمته:-

سمعت نبأ الصراع ما بين النفس والجسد
 ورغبت كمستطلع أن أرى من سيحرز الهدف

د. حسن الانتهاء **حسبها** **عها**: كقوله:

لَمَهَا هُوَا مُأَمَّالًا وَهَدَمَا وَحَلَا مُجْبَلًا
وَمَلَّكَ حُو حُلُكَمَا سَبَلًا كَمَا وَجَلَا قَا وَمَا نَأَسَا
وترجمته:-

فلتكن هذه اللياقة عربون الصالحات
التي وعدك بها في العالم الجديد حيث يزول كل ضيق
هـ. العطف حَهُهَا كقوله:

رَفْنَا مَعَه فَبَسْنَا هَرْنَا هَمَّا حَمَّ نَعْنَا سَكْرًا
العصفور والقبرة والباز والحمامة مع النسر القوي
و. الغلو وَهُوَ مَمْلُكَمَا كقوله:

وَسَا هُوَا لَأَوْدَا كَلَسَا وَتَدَا كَيْبَا مَتَا مَعَا:
هَلَبَ مَعَ سَعَا حَمَمَدَا حَمَمَا نَجَعَا هَمَمَا
وترجمته:-

هذه الفكرة أفاضت دموعي كماء البحر
وقلبي من الحزن يبس وضوي كالعشب
ز. المقابلة فَهَسَمَا: وهو أن يأتي بالمتألفات المختلفة وبما يطابقها
بالترتيب كقوله:

حَتْنَا هَمَمَا حَمَّ مَمَمَا

سَمًا هَجَّعًا حَمَّ مَبْحًا
مَدًّا مَهًّا كَهَمَّ حَدَمًا مَهْمَدًا
حَدَمًا مَدًّا مَدًّا مَدًّا مَدًّا

وترجمته:-

النظر والشم مع السمع والذوق واللمس مع العقل
يقيتهم بغناه الفائض بتلذذ يفوق الوصف

هذا غيظ من فيض من إبداعات هذا الشاعر، ولكن أهم ما يميزه هو إبداعه في المقامات حيث أثبت بما لا يقبل الجدل أنه سيد هذا الفن. ولئن دل هذا على شيء فإنما يدل على سعة اطلاعه وتمكنه من اللغة السريانية وثاقب تفكيره مما جعله أن يضع لنا مجموعة من المقامات على غرار مقامات الحريري موضحا، بل مثبتا، أن اللغة السريانية لغة حية ومرنة ويمكنها أن تجاري بقية اللغات الشقيقة خصوصا العربية إذا ما لقيت من يحنو عليها ويعطيها من وقته وفكره وجهده.

لقد حاول تبيان مرونة السريانية وسلاستها وقدرتها على مضاهاة اللغة العربية في الفصاحة والبلاغة والبيان والبديع من جناس وطباق ومحاسن لغوية ولفظية وتعبيرية، ففي قصائده/ مقاماته جمع كل محاسن البلاغة وثرورات اللغة السريانية البديعة.

الخلاصة

1. إن عبيدشوع الصوباوي أحد أقطاب اللغة السريانية وجهابذتها، وهو لئن كان من أبناء القرن الثالث عشر إلا أنه يعد من أدباء الفترة الذهبية لما قدمه من مستوى رفيع في فروع المعرفة.
2. تأثر تأثراً واضحاً باللغة العربية وكان لهذا التأثير دوراً إيجابياً في تطور اللغة السريانية وإنمائها.
3. طرق في شعره أبواباً لم تطرق من قبل وهو دليل سعة اطلاعه وسمو تفكيره وعلو كعبه في مجال اللغة والأدب.
4. نأمل أن تدرس أشعاره ومؤلفاته دراسة موسعة في الكليات ذات العلاقة ليستفيد النشء منها.

المصادر:

1. مَنَّا، المطران يعقوب أوجين، المروج النزهية، الطبعة الثانية، بغداد، 1977.
2. فردوس عدن
3. دولباني، المطران يوحنا، الشعر عند السريان، حلب، 1970.
4. صلاح عبد العزيز محبوب، قصائد عبديشوع الصوباوي، رسالة دكتوراه، بغداد 1995م.

مار غريغوريوس بولس بهنام (1916 – 1969م)

هو سركييس بن بهنام كولان وأمه نجمة ابنة جرجيس الخوري يلدا. ولد في بغداد (قره قوش)

تلقى مبادئ العلم في مسقط رأسه ثم التحق بمدرسة دير مار متى سنة 1929 حيث شدا العلوم الدينية والطقسية وأتقن اللغتين السريانية والعربية وألمّ بالإنجليزية وتوشح الإسكيم الرهباني سنة 1935 واتخذ اسم "بولس". وفي سنة 1938 التحق بمدرسة مار أفرام اللاهوتية بزحلة لبنان إذ أكمل دروسه العربية والفلسفية وأصبح أستاذ اللغة السريانية فيها ثم مديرا لها على أثر انتقالها إلى الموصل سنة 1945م.

منح لقب ملفان سنة 1951م بعد أن قدم أطروحة في "علم النفس لدى مار سويريوس موسى بن كيفا الفيلسوف السرياني" من المثلث الرحمة مار إغناطيوس أفرام الأول برصوم.

رسم مطرانا للموصل في 6 نيسان 1952م

حصل على منحة دراسية سنة 1959م من السيميناري المتحد في نيويورك قضى فيه سنة دراسية درس خلالها اللغة الآرامية.

عرج في طريق عودته على مكنتبات أوروبا لمدة ثلاثة أشهر واطلع على نفائس السلف فيها.

نقل إلى بغداد سنة 1960م وهو بذلك أول مطران سرياني أرثوذكسي لها بعد توقف دام سبعة قرون ونيف إذ كانت هذه الأبرشية قد اندثرت في القرن الثالث عشر بعد الغزو المغولي لبغداد.

توفي في بغداد في 19 شباط 1969م في مستشفى الراهبات وكان في قمة عطائه وكان تشييعه مهيبا جدا.

كان المطران بهنام شخصية فذة فهو خطيب مصقع وكاتب نحير، وشاعر رقيق ولغوي بارع، ومترجم متمرس، وأديب أريب. وقد خدم التراث السرياني خدمة يعرفها القاصي والداني إضافة إلى تواضع جم وإيمان راسخ ومحبة صادقة.

قلنا إنه كان خطيبا مصقعا ومفوها فلنسمع بعض نغماته في رثاء المثلث الرحمة البطريرك أفرام، حيث يقول:

يا من أقف إلى جانبه كما يقف الظمان أمام جدول جف ماؤه.

فاجعتك عظيمة أيتها الأمة السريانية

فاجعة أمة برجل

ورجل بأمة

فاجعة ممجدة ومجد مفجوع.

أما في وصف الفدائي فنسمعه يقول:

رأيت نعشا مرفوعا على عربة مدفع

في وادي الأردن

قلت ما هذا؟

قالوا إنه الحق

قلت كيف يموت الحق؟

والحق هو الله

مات الحق! مات الله!

آثاره:

أ. المطبوعة:

1. أصدر مجلة "المشرق" في الأول من حزيران 1946م وكانت نصف شهرية واحتجبت بعد أن صدر منها 27 عددا.
2. عاد فأصدرها باسم "لسان المشرق" في أيلول 1948م ودام صدورها حتى آذار 1952.
- وقد دمج فيها مقالاته الفلسفية وبحوثه التاريخية وقصائده الشعرية وأما قصائده فقد كانت تحت اسم مستعار هو "نزيه عثمان" و"زهير سلطان".
3. خمائل الريحان في حياة مار يعقوب السروجي الملفان، الموصل، 1949.
4. مبادئ الإيمان - بدون تاريخ.
5. البنفسجة الذكية، الموصل.
6. الحق حق رضي الناس أم غضبوا، الموصل.
7. علم النفس لدى موسى بن كيفا، الموصل 1951.
8. تحقيقات لغوية، الموصل 1953.
9. تاريخ دير مار مرقس، القدس 1957.
10. رواية تيودورة ابنة قسيس منبج، الموصل.

11. الفلسفة المشائية في تراثنا الفكري.
 12. العلاقات الجوهرية بين اللغتين السريانية والعربية.
 13. نفحات الخزام أو حياة البطريق إغناطيوس أفرام، الموصل 1959.
 14. المرشد في مبادئ اللغة السريانية.
 15. ابن العبري الشاعر، القامشلي، 1965، وهو دراسة مستفيضة في شعر ابن العبري وبضمنها قصيدة الحكمة الإلهية التي ترجمها شعرا من السريانية إلى العربية وأسماها الملحمة الحمراء، وقد أجاد فيها أيما إجادة.
 16. القديسة شموني، مسرحية.
 17. البابا ديوسقورس أمام منبر التاريخ، دراسة موسعة، طبع في مصر بعد وفاته.
 18. أحيقار الحكيم، مجمع اللغة السريانية، بغداد، 1976. وقد ورد في مقدمة الكتاب أن ولادته كانت في الثلاثين من نيسان 1914م وذلك بقلم الأستاذ (الأب) سهيل قاشا، خلافا لما أجمع عليه من كتب في سيرة هذا الملفان من أن ولادته كانت 1916م.
 19. وقد اعتمدت في تحديد ولادته المصادر العالية وكذلك التاريخ الموجود على ضريحه في كاتدرائية مار بطرس ومار بولس للسريان الأرثوذكس.
 20. أدب الرسالة عند السريان، حلب، 1980.
- ب. المعربة

1. تاريخ طور عبيد للبطيريك أفرام الأول برصوم، حيث طبع النص السرياني مع التعريب، جونية، لبنان 1964م.
2. الإيثيقون لابن العبري، عربي عن السريانية وهو كتاب في الأخلاق المسيحية، وطبع في القامشلي عام 1967م بهمة الراهب جورج صليبا (المطران حاليا)، وقد وردت فيه أخطاء مطبعية لبعده عن المطبعة رغم جهود الراهب جورج.

ج. المخطوطة

كان قد أعد الموسوعة السريانية باللغة الإنجليزية وقد قطع شوطا كبيرا في هذا الموضوع ولكن المنية عاجلته ولم يعرف مصيرها. فهو قد ظلم في حياته وكذلك ظلمت كتاباته التي تركها حيث تبعثرت ولم يتصد لها شخص لجمعها ونشرها وفي ذلك خسارة كبيرة لا تعوض. إن ما يهمنا هو الدراسات السريانية فقد تناولت هذه الدراسات المواضيع التالية:

1. اللغة السريانية وتاريخها وتطورها.
2. بحوث في اللغة السريانية ومقارنتها بشقيقتها العربية.
3. بحوث في تاريخ الأدب السرياني.
4. بحوث في نقد الفكر السرياني "دراسة وتحليل".

والتي تنحصر في النقاط التالية:

أ. كلمة عامة مجملة.

- ب. نقد الأدب السرياني (دراسة وتحليل).
 ج. نقد الفلسفة السريانية (دراسة وتحليل).
 د. الكلمة الأخيرة.

اللغة السريانية

هام المطران بولس بمحبة اللغة السريانية وكان يفاخر بها في كل محاضرة يلقيها ويشيد بمحاسنها في كل مناسبة يخطب فيها، ورغم أن إنتاجه اللغوي قليل جدا إلا أنه يدل على إحاطته الواسعة بأسرار هذه اللغة وتمكنه العالي من نحوها وصرفها وأساليب الكتابة بها.

نورد قصيدته باللغة السريانية على البحر الثماني وهو البحر الذي استنبطه أنطون البليغ في القرن التاسع، حيث يقول:

حَفَا ذَسِيحَ زُتَا كِيُوْ هُو ذَاتَا:

دِيَتِي دِيَتَا دِيَتِي يَهْفَا

ذُتَا هُو هِيُوْ كُذَاتَا:

هِيَتِي نِيَكُوْ عُوْتِي يَمَهْ هُو.

زُتَا هُو كُوْ دُجَا سِيَجَمَا:

هَكُوْ دُتَا ذَسِيَمَا دُتَا دِيَتِي:

زُتَا هُو نِيَتِيبَ كِيَتِي:

كِي هُو دِيَتِي نُوْتِي:

هَجْدٌ بِهَجْدٍ تَجْتَبِرُهُ كَيْتُ سَجْدٍ يِيهِ هُجْبٌ هُكْدِدُ خَدَمَةٌ . سُبْقَتُهُمَا هَذَابٌ كِيهِ وَهَوِيٌّ هُجْبَتِيٌّ 2.

وفيها أيضا عبرة عن أهمية الجيرة الحسنة التي لا تقدر بثمن والتي أحوج ما نكون إليها في هذه الأيام.

2. تاريخ الأدب السرياني: له عدة مقالات قيمة في هذا الموضوع الحيوي والهام منشورة في مجلتي المشرق ولسان المشرق.

وأما الثقافة السريانية: فقد وضع فيها كتابا في 250 صفحة بحث فيها الثقافة السريانية من كل نواحيها وجوانبها وقد بحث هذا الموضوع في أوائل الأربعينات وهو من أجل ما كتب في هذا الموضوع الأدبي التاريخي.

3. بحوث لغوية: له بحثان مهمان في هذا الفرع من التراث السرياني.

أ. تحقيقات تاريخية لغوية: بحث في حقل اللغات السامية وهو بحث لغوي

علمي تاريخي انتقادي حول كتاب معجمات عربية - سامية للأب أ.

س. مرمجي يقع الكتاب في 106 صفحات ويشير فيه بالبرهان إلى

علاقات اللغة السريانية مع البابلية والآشورية والكنعانية والعبرانية ثم

يعود ليقارن بين الآرامية والأكدية ويقول في ذلك "إن أهم صفة تحوزها

اللهجة السريانية الغربية هي اتفاقها مع الأكدية في ختام جميع

المفردات بالضممة الخفيفة وتسمى بالسريانية "الزقاف" وكثيرا ما تتساوى

في اللغتين كلمات لفظا ومعنى". ويورد بعض الأمثلة.

ب. العلاقات الجوهرية بين اللغتين السريانية والعربية: يقع هذا الكتاب في

80 صفحة وأهم ما في هذا الموضوع هو دحض زعم علماء

المشريقيات أن أول من استعمل مصطلح اللغات السامية هو شلوتزر الألماني 1781م، مؤيدا أن هذه التسمية قديمة العهد يرتقي تاريخها إلى ما قبل القرن السابع الميلادي وأن أول من أطلق هذه التسمية هو العالم السرياني يعقوب الرهاوي المتوفى سنة 708م. وجرى علماء السريان على أثر الرهاوي كالمؤرخ السرياني المجهول في القرن الثاني عشر وابن العبري في القرن الثالث عشر.

الفكر السرياني: أدب وفلسفة

4. لدى مقارنة الفكر السرياني مع غيره نجد أن هذا الفكر ضارب في أعماق التاريخ والمجد والعبقرية وقد أعطى الحضارة الإنسانية الشيء الكثير وإنه الدليل بل المقياس لذكاء علماء السريان. فمثلا إن قصيدة "الفردوس المفقود" للشاعر الإنجليزي الضرير ملتون وضعت في عام 1642م ليست إلا صدى لقصيدة سريانية وضعها الشاعر السرياني مار إسحق الأمدي في القرن الخامس سماها "الحلم الذي رآه آدم عن الفردوس" وأول من كشف النقاب عن هذا هو المطران بولس بهنام. ونظرية "الإنسان عالم صغير" التي طلع بها إلى عالم الفكر هررد الألماني ليست إلا ترديداً لصدى فكرة ولدت في عقلي مار يعقول السروجي في القرن الخامس والسادس ومار أحو دامه في القرن السادس. وترى في كتاب "علة كل العلل" للرهاوي المجهول من القرن العاشر الميلادي "نظرية الإنسان الأعلى" التي أتى بها نيتشه الفيلسوف الألماني الشهير مردداً صدى فكرة فيلسوف سرياني هو الرهاوي.

هذا غيض من فيض مما جادت به قريحة ملفاننا الخالد مار
غريغوريوس بولس بهنام. نأمل أن نكون قد سلطنا بعض الضوء على هذا
الباحث في تراثنا السرياني العريق.

المصادر

1. البطريك يعقوب الثالث، دقائق الطيب في تاريخ دير مار متى
العجيب، زحلة، 1961م.
2. المطران بولس بهنام، نفحات الخزام أو حياة البطريك أفرام، الموصل،
1959م.
3. الخوري يوسف سعيد، حياة الملفان بولس بهنام، السويد، بيروت،
1969م.
4. المطران مار سويريوس إسحق ساكا، صوت نينوى وآرام، دمشق،
1988م.
5. مجمع اللغة السريانية، أحيقار الحكيم (المقدمة)، بغداد، 1976م.
6. الخوري برصوم يوسف أديب، اللغة السريانية، حلب، 1975م.

خاميس القرداحي

شاعر مجيد، يمكنك أن تلاحظ قوة عارضته وطول باعه في الشعر من قصيدة واحدة حيث ترى الحلاوة والفن والطلاوة التي قلما تراها لدى غيره من الشعراء المعاصرين له ما خلا ابن العبري الشاعر المعجزة.

حياته

عاش شاعرنا في منسلخ القرن الثالث عشر وكان قد ولد في أربيل أو إحدى القرى المحيطة بها لذا نسب إليها ولقب بالقرداحي نسبة إلى مهنة آبائه حيث كانوا يعملون بالحدادة، ويقال أنه كان كاهنا متزوجا له أولاد وبنات جميلو الصورة بل لقد شبه أبناؤه بالقمر لحسن صورتهم.

يقول عنه المطران يعقوب منا ما ترجمته "له كتاب وسط في الشعر متنوع الأغراض لا يخلو من الحلاوة والطلاوة وحسن النظم".

أما منصور روئيل فقال عنه "إن خاميس شاعر من الدرجة العالية إذ يعبر عن آرائه ومشاعره بصدق وبكلام فخم - مصقول، إنه شاعر مؤمن ومفسر ومترجم ومغرم وخمري ومحب وحكيم ويمتاز بركة المشاعر وحدة النزعات".

ويقول عنه غطاس مقدسي إلياس الشاعر الكبير ما يأتي: "كتب في الكثير من المواضيع تفوح منها رائحة الثقافة العربية وبكلام منمق ومصقول وبآراء مرتبة وله صور ذات خيال مزينة بألوان نقية".

أما الأب شليمون إيشو فيقول عنه "إنه كاتب مشهور بين أبناء جيله كابن العبري وكيوركيس وردا الأربيلي وعبديشوع الصوباوي"

تمتاز صورته الشعرية بالجمال الأخاذ وحسن السبك ورقة اللفظ وجزالته
كما في قصيدته **حَلَا مَهْ كَهْ وَسَعَا** (مدح الصديق). والتي هي على الحروف
الأبجدية وهذا من المحاسن اللفظية.

أ. **أَيْدِيهِ وَحَصَّوْا :** **وَمَعَهُ أُوحَّصُوا.**

مَمَّسَهُ سَعَا : **أَوْ مَهْ أَوْا. حَصَّوْا مَرَّوْا.**

ونلاحظ استعماله الغلو **وَهُجَّ مَهْ كَهْ** وكذلك استعمال القافية الداخلية
حيث بنى الدعامات على حرف واحد هو الراء وفي هذا دليل تمكنه العالي
من اللغة.

ح. **حَبَّجَهُ هُ حُكَّحَا :** **كَبَّجَهُ حَه فَسَعَا.**

وَبَلَّأَ كَحَّحَا : **حَبَّجَهُ مَه مَبَّعَا، وَأَلَّ حَجَّ هَلَّا**

وَكَحَّحَا.

في هذا البيت نرى نفس صفات البيت الأول حيث الغلو والقافية الداخلية
واستعمال اثنتين من أدوات الوصل وهما **حَجَّ** و **وَكَحَّحَا**
3. استعماله المترادفات لإغناء الصفات الممنوحة لمن يصفه كما في
المثال التالي:

وَهُ مَعْدَا أَيْدِي كُكَّج : **هَلَّوْا أَيْدِي كُكَّج**

عجيب أنت كلك : **بل دهش أنت كلك.**

وهنا القافية هي ضمير المخاطب المضاف إليه والبحر المستعمل هو
بحر بالاي أي الخماسي والمضاف هو كلمة **كُلَّ** في الصدر والعجز.

استعماله السؤال لإضفاء هالة حول موصوفه وكي يجلب الانتباه أكثر كما في الأبيات التالية:

مَنَّهُ وَكُلُّ قُصَمٍ: هَمَّه كُحُ كُصَمٍ.
وَجَلَّ كُحُ وَصَمٍ: هَلَعَصْبُ صَدَّ وَصَمٍ
حَمُّ صَدَّ مَصَمٍ

وفي هذه الأبيات يغير الوزن الخماسي إلى الرباعي ثم يعود إلى الخماسي ليدل بذلك أنه قادر على التحرك بحرية والتصرف في صوغ القصيدة. من يشبهك، واسمه يناسبك، فالكل يحبك، وترجم اسمك الذي يحيي الميت.

له قابلية كبيرة على اختيار الصور المؤثرة في نفس سامعيه ففي هذا البيت من قصيدته في رثاء ابنه يصف خصل شعره باللؤلؤ الداجي الطويل الذي يزيد من أرق المعنى إذ نسمعه يقول:

هَلْ صَعَتِ صَدْرِي كَلًّا: مَهْ وَصَمَّ حَلًّا رَهْدُهُ لَأَمَّا.

وهو هنا يستعمل البحر السباعي وينفس روي الصدر والعجز. إن مشاعره رقيقة وصادقة.

4. استعماله الهتاف مُحَجًّا: أي حرف النداء في بدء القصيدة

خصوصاً تلك التي ينظمها على الأبجدية لجلب انتباه السامع كما في الأمثلة التالية:

هُ نَعْمًا وَحَلَمًا حَمَمًا: سَبَّامًا لَهْلًا قَمَمًا مَحَّ مَهْ وَحَا.

وهو هنا يستعمل المفاوضة حُسُلاً يخاطب النفس الشائخة بالإثم
ويدعوها إلى الندم والقيام من سقطتها. ونلاحظ هنا أنه استعمل كلمة **وَمَعَا**
وَمَعَا وهما متكونتان من نفس الحروف بتسلسل مختلف ليعطي معان
مختلفة تماما . أليس هذا أن اللغة قد أسلست له القيادة؟

أَهْ مَحْسَبًا وَأَنْجَا : أُوْهْ مَرُّهُمَا وَسَجَا .

أَهْ مَسْرَمًا وَأَوْهَى حُلْفَا : مَذْهَبٌ كَلِمَةٌ مَجْ مَعْمَا .

والمفاوضة من الفنون التي تفيد العبقرية والعلم.

استعماله ضمير المخاطب المضاف إليه في بناء القافية والقافية الداخلية
كما في الأبيات التالية من قصيدته في مدح صديق له.

سَكْحٌ قَتْلُهُمُ : مَاتَ تَحْتَهُمُ

فَكَيْفًا سَرُّهُمُ : قَامَا وَهُمُ

حَبْلًا وَتَكْلُهُمُ .

وهذا دليل تمكنه العالي من اللغة وسهولة تصرفه فيها.

تحليل قصيدة له في الخمر

إنه يبدأ البيت بالمساءلة **مَعَا كَهْمَا**: وهي نوع من المحاسن اللغوية:

أَمْعَا لَأُحَدِّجَهُوَ : حُنَا سَعْنَا صَمُّ أَمْعَا .

وَأَنَا بِهِ وَحُصْمَا صَحْحَا : مَجْ مَجْ حَجَّتَا هُنَا كَسَا .

وفيه يفتخر الخمر بما له من خصال حيث يروح عن النفس مدعياً أنه لا أحد من العبيد يبغضه، ويعني بالعبيد الإنسان ويستمر الخمر بالفخر والتباهي حيث يقول شاعرنا على لسان الخمر:

حَدَّ مَعْدَجًا رَعِيًّا : هُمَا هَمَجًا هَجَاءًا
حَبًّا مَعْمَجًا هَمْعَةً : هُمَا هَجًا حُجَبًا كَدَّ.

صور شعرية جميلة حيث الوصف الرقيق والذي يخلق فيه الخيال مما يدل على سعة مخيلته الشعرية وبجزالة ألفاظ ووصف جميل للكلمات.

أما في البيت التالي فاسمعه يقول:

رَهَبَ هَمْعًا مَحَّ مَعْمَبًا : هَلَّا هِيَهَ وَكَلَّحًا مَسَبًا
مَحَّ مَحَّ مَعْمَبًا مَحَّجًا : هَلَّا حَمْسَةً رُجَّ كَدَّ

نلاحظ هنا الادعاء بالإبهة والسمو إذ يجعل لونه أجمل من الياقوت وأنه يبهج القلوب وأن السادة والعبيد يصرفون الأموال رخيصة في سبيل شراء وده.

رَهَبَ مَكَلًا هَمْعًا : هَلَّحَهُ وَكَلَّحًا سَأًا
سُ هَسًا وَكَلَّحَهُ كَدَّ هَمْعًا : هَجَرَمَتَاهُ مَعْمَلَهُ كَدَّ.

لقد بلغ به الاعتداد بالنفس والخيلاء حداً حيث يدعي أن داود الملك والنبي والذي يلقب الله الحي نظره ولم ير له شبيهاً ولذا فقد امتدحه في مزاميره، كل هذه الأوصاف والألقاب والنعوت الجميلة والسامية خلعتها عليه، ويستمر في تصاعد وتيرة وصفه إلى أن يصل به القمة وكل ذلك على لسان الخمر الذي ينهي البيت بلفظة لي حد، والمركبة من حرف الجر لام وضمير المتكلم الياء ـ وذلك كنوع من التوكيد على الصفة التي منحها لموصوفه.

حيث نسمعه يقول:

هُنَّ كَمِّ وَهِنَّ كَحَا: هُمَا حَسَّ فَكَلَّهَا سَعَا
بَعْدَ مَا كَلَّ حَجًّا وَجَا حَنَّا: هَلَجَّ هُمَا مَعْمَا كَدَّ

أجل إنه وصف جداب وجميل ويمتاز بالعدوية والرقية.
والكثير الكثير من الصور الشعرية التي تأخذ بمجامع القلوب. أضف إلى ذلك ما تتمتع جملة من البيان والبديع كما في البيتين التاليين:

هُوُوا مَعْتَمًا وَوَجًّا: هَجَّا هَحَّا وَهَسَّ حَجًّا.
فَمَنْ مَعَجًّا هُوُوا: هَهَّيًّا وَجَسَّيًّا مَعْنَحَّ كَدَّ.
صور شعرية جميلة وساحرة واختيار موفق للألفاظ وسبك بليغ ودون تكلف.

وخذ مثلاً هذا البيت المفعم بالجمال والحسن:

أَوْكَا إِيَّا مَعَّ حَمَّ مَعًّا: هَمَّ وَهَجَّا هَسَّيًّا هُجَّ إِيَّا.
هَمَّ مَعْنَسًا سَلَّا إِيَّا: هُجَّسَّهَمَّ حَجَّا وَهَمَّ كَدَّ

والترجمة:

أشهل من عين الحمامة: وأحسن من الذهب الأوفير.
وأحلى من الشهد: وهنيئاً لمن يشربني.
في خمريته هذه تتجلى قدرته الكبيرة في الوصف واختيار الصور التي تحرك الوجدان وتعمل في النفس . إنه فنان يرسم لوحته بالكلمات وليس بالألوان وتدخل محرابه صاغراً.
وله في الحكمة أبيات جميلة نأخذ منها:

لَا مَهْرَ لِأَحَدٍ مِّنكُمْ وَرَجْنَا سُبَا هَمَّانَا:
وَمَنَّهُ وَهُونًا وَهَيْبَةً مَّصْدَرًا لَّا سُبَا حَسْبًا.
فِي قَوْلِهِمْ أَيْدِي حَلْمٍ كَحَمَلٍ مِّنْجِهٍ رَّسَا:
وَأَوْحَاهُ مَعَهُمَا نَبِيَّهُمَا سَنَاءَهُ حَصْمًا وَرُسَا
لَا تَطْلُبُ مِنَ الزَّمَنِ الرَّاحَةَ وَالْأَمَانَ أَبَدًا:
لَأَنَّ مِثْلَ هَذَا لَمْ تَرَهُ الْعَيْنُ قَطُّ.
فَإِنْ كُنْتَ ذَكِيًّا فَأَعِدْ لِحَرِيهِ سِلَاحًا
لَأَنَّ غَايَةَ الْحَقِّ هِيَ مَقَاضَاةُ الْبَاطِلِ أَوْلَى.

إن دل هذا على شيء فإنما يدل على سعة خبرته في الحياة حيث أنه
أجمل حياة الإنسان الطويلة في هذين البيتين. وهو يبدأ البيت الأول بلا الناهية
لَا مَهْرَ. والبيت الثاني بإن الشرطية فِي قَوْلِهِمْ.
وفي الاتكال على المال يقول:

حَلَا مَسًّا لَّا مَهْرَ لَوْنَا: هَسْبُ حَصْمٍ هَوَّاهَا حَصْلًا وَحُلْمًا لَمَّانَا
حَرْقِي هَاهُ وَمَنَّهُ الْكَلْبُ الْكَلْبُ مَضَّحٌ لَمَّانَا:
مَا وَبَلَّانَا مَنَّهُ حَرْقِي مَضَّحٌ لَمَّانَا.

وترجمتها:

لا تنظر إلى الاتكال على الغنى العالمي:
وأحب ربك وأكثر العمل لتبغض العالم.
لأنك إن اقتنيت ألوف الألوف من الوزنات
فعندما تغادر فإنك تغادره ورغبة الفلاس معك.

حكمة أخرى يسوقها شاعرنا وهو على ما يبدو خبر الحياة وتؤكد أن كل ما فيها من أموال ومقتنيات زائلة ولا تغني الإنسان بل إن الغنى الحقيقي هو في محبة الرب إذ أن المحبة هي تاج الفضائل ومن يزينه هذا التاج يكون قد ربح العالمين.

لقد بدأ البيت الأول بحرف الجر **حَلَا** والبيت الثاني بأداة الشرط **إن** مسبوقة بحرف الباء والتي تقاب الفاء التي تسبق حرف الشرط، سيطرته في التصف اللغوي واضحة. وبناء جملة رصين.
وله في وصف الورد أبيات ساحرة نختار منها:

هَوُّوا حَمَلًا مَحْرَحًا وَهَامًا وَجَبًا وَجَهَسًا:
مَصَلَّاهُ وَهَامًا فِي مَلَأَهِ مَحْرَحًا وَهَامًا مَحْتًا.
وَجَرَّ حَمَلًا قَعًا وَهَامًا كَسَلًا حَرُّهُ وَهَامًا:
هَجَّصَحَهُ أَلَامًا حُصَّصَ كَسَلًا حَمَلًا مَحْتًا

والترجمة:

الورد بسكوته وسط الضجة ربيب اللائم:
كان يتكلم حيث كان يعاني من روح السكارى
في طفولتي الأشواك كانت هي قماطي
وفي شيخوختي ها إن الغلمان والصغار يهزأون بي.

صورة جميلة للحياة حيث أن المعاناة موجودة دائما سواء في الطفولة أم في المشيب، إذ ليس هناك عدل في هذه الحياة.

وهنا نلاحظ استعماله المطابقة كُسْعُهُمْ وهي جمع الضدين والتي تفيد
العبقرية والعلم وهي من المحاسن اللغوية.
كان في سكوته يتكلم ومعروف أن السكوت في كثير من الأحيان أبلغ
من الكلام.

وله في وصف الشمعة أبيات حلوة نأخذ منها:

حَفْنَيْهِ أَهْنًا وَحُفْنًا وَسَعْدَ حَنْبِ نَهْؤًا:

هَلْحَنْبِهِمْ أَوْ جَعًا أَوْ قَدْ حَلَا نَعْنَجًا.

فَبَسَّ وَهَبَّ حَسْعًا وَصَحَّ حَهْطًا وَجَمَّؤًا:

هَوَّعَ حَصْرَ حَلَا هَا قَامَ إِنَّا هَحَلًا وَف نَهْؤًا.

والترجمة:

سألت الشمعة لماذا أحببت مناجاة النار:

وتركت مصاحبة العسل بعد مدة.

أجابت آنذاك كنت نائمًا في الظلمة في الكوارة:

وها أنذا قائمة في الوسط ويعلو رأسي النور.

تمثيل جميل للحياة فإن الإنسان يسعى للأفضل متحملاً في سبيل ذلك
الصعاب والأوصاب وهي صورة رمزية جميلة لما يحدث في الحقيقة حيث يلتذ
البعض بالمعاناة من أجل الهدف الأسمى.
نعود إلى فنونه الشعرية ثانية لنرى ماذا كان يفعل:

استعماله اسم الفاعل الفعلي كما في قصيدته التالية المتميزة بالجناس والتي يتغير حرف واحد أو حركة واحدة بتغيير وزنها ومعناها. حيث يقول:

حَمَّجِبْ صُنَا مَرَّيْ كُنَا مَرَّيْ نُنَا:
كَمَّ مَرَّيْ نُنَا حَمَّيْ لُجْبَا مَرَّيْ نُنَا.

أ. وكذلك يستعمل المقالة كُصْعَمًا: وهي الإتيان بالمتآلفات المختلفة وبما يطابقها بالترتيب حيث يقول:

وَصَعْلًا نُنَا، وَلَا فَهَمَّ نُهًا مَعْلًا نُنَا:
هَمْعَلًا نُنَا هَمْعَلًا نُنَا هَمْعَلًا نُنَا.
مَحَّ هُنَا حَمَّيْ حَسَا مَعْلًا نُنَا:
وَلَا صَعْرَ مَرَّيْ نُنَا، وَنُهًا كَلْحَا مَعْلًا نُنَا.

والترجمة:

المنحل لا بد أن يكون منحلا.

ومنحلا ومعذبا ومنبوذا

من التلذذ بهذه المناجاة مدعواً:

دون أن يكون إلى الأبد مدعواً.

نلاحظ استعماله نفس الكلمة وهي اسم الفاعل الفعلي مَعْلًا نُنَا في

بداية البيت وفي نهاية الصدر ليعود ويستعملها في بداية العجز.

وفي البيت الثاني يستعمل نفس الكلمة مُصَلِّمًا في نهاية الصدر والعجز وهذا لئن دل على شيء فإنه يدل على تمكنه العالي من اللغة وقواعدها وسعة اطلاعه وتصرفه وكفائه اللغوية.

وله وينفس الأسلوب في النظم هذا البيتان:

سَقًا كَتَعًا لِي مَحَّ مَكُّا لَأ مَصَلِّمًا:

هَمَّ حَقًّا عَتَمًا لَأ مَصَلِّمًا.

حُبًّا بَتًّا مَحَّ وَحَسًا لَأ مَصَلِّمًا:

أَفَلًا فَتًا سَجَمًا حَمًّا مَصَلِّمًا.

وهي نصيحة جميلة بوجوب اقتلاع جذور الحزن والكآبة والعادات السيئة ويجب ان يأنف منها الضمير وإلا لما استطاع العقل أن يقرأ أسفار الحكمة، وهنا يستعمل الشرط وجوابه بل إن كلمة مُصَلِّمًا استعملها بمعنيين مختلفين.

يستعمل في قصيدته "الحكمة لا يحصل عليها إلا بالمرارة". أداة الشرط

في بداية الصدر وجواب الشرط في بداية عجز البيت كما في المثال التالي:

أُسْهَ وَبَارِحًا وَتَلَفَسَ كُ لَأ وَحَمَّ كَحَّ:

لَأ تَبَاجَ كُ أُسْهَ وَبَاجَكَ صَعِبَ سَحَّ.

أُسْهَ وَبَعْفُ كَحَّجِهِ كَهَلَّ لَأ لَأ وَجَّ:

لَأ مَرَّ مَأْخِذًا مَعًا رَحْمًا صَعْبًا حَنَّ.

والترجمة:

إن أردت أن تُفْتَحَ لك أبوابُ قلبنا:

لا تتألم إن قاسيت حد سيفنا.

فإن لم نَفك لنا عبدا.

فلن تستطيع أن تجرد عظاماً صغيراً من سماط خروفا.

وفي هذا يريد أن يبين أن من يطمح إلى المعالي والوصول إلى الأهداف السامية التي قد وضعها نصب عينيه عليه أن يحتمل المعاناة والألم والكثير من الشدائد في سبيل تلك الأهداف.

أجل إن من يريد أن يصل إلى السمو والرفعة عليه أن يحتمل أوصاب الحياة بكل معاناتها.

ومن تمكنه العالي من اللغة استعماله الصفة مجزومة في بناء الدعامة، وكذلك كقافية للبيت نفسه كما في هذا البيت:

مَعْمَدًا وَفَلَسًا مَعْبُحًا وَوَسًا هَرَجًا وَهَسًا:

هَوَسًا وَعَبَسًا هَلَا حَمَلًا نَسًا وَهَسَدًا مَسًا.

وهو أيضا يستعمل العطف حَهُوًّا وهو من المحاسن التي تعيد العبقرية والعلم.

ويمكن إجمال الصفات العامة لشعره بما يلي:

14. استعماله بحوراً مختلفة وعدم الاقتصار على بحر واحد.
15. هو شاعر متعدد الأغراض كتب في الوصف والحكمة والوجدانيات والشوقيات والخمريات.
16. مخزونه الغوي كبير ويعرف أصول اللغة جيداً.

17. شاعريته أصيلة وقريحته متوقدة.
18. حسه الشعري وقيق ومنتدق.
19. جملة مسبوكة جيذا ولا تكلف فيها.

هذا غييض من فييض مما قدمه شاعرنا نأمل أن نكون قد سلطنا بعض الضوء على جوانب شعره والتي فيها الشيء الكثير الذي يستحق الدراسة.

المصدر:

ديوان شعره المنشور في دهوك سنة 2002م.

الفهرست

الصفحة	الموضوع
6	1. مكانة العلم في القصيدة السريانية
21	2. المعجم السرياني والمندائي
33	3. حركة الترجمة الطبية في العصر العباسي
46	4. مار أفرام السرياني شاعرا
65	5. عبيدشوع الصوباوي
76	6. مار غريغوريوس بولس بهنام
87	7. خاميس القرداحي